بـقايا أنـثـى

تأليف:

شيرين مصطفى

دار الشهد للنشر والتوزيع

اسم الرواية: بقايا أنثى.

اسم المؤلفة: شيرين مصطفى.

المدير العام: نهى محمود .

مدير التوزيع: وائل كرم.

تصميم وإخراج فني: همَّت العزب.

تصميم الغلاف: محفوظ أحمد .

التصحيح اللُغوي: " أولي النُهى للتصحيح اللُغوي"

الطبعة الأولى: ٢٠١٩

رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق المصرية: ٢٠١٨/١٠٧٩٥.

الترقيم الدولي: ٢-٣٦-٦٦١٠-٩٧٧-٩٧٨.

محفوظة جميع الحقوق

١٧ش حسن وهبة من شارع الهرم الرئيسي

خلف كايرو مول.

موبايل / ٠١٠٣٠٨٥٠٥١٢

البريد الإلكتروني:

nohamahmoud.171186@gmail.com

elshahdpublishing2016@gmail.com

الإهداء

أهدي هذه الرواية لزوجي لما عاناه معي حتى خرجت هذه الرواية إلى النور

كما أهديها لدار الشهد للنشر والتوزيع لإيمانها بقلمي وتشجيعي على الاستمرار في الكتابة منذ أول عمل لي رأي النور وخرج للجماهير

وأهدي هذه الرواية أيضا لكل أنثى عقلتها مشاكل الحياة ونظرة المجتمع لها سواء كانت مطلقة أو أرملة وأيا كان مجال عملها

لكم جميعا أهدي هذه الرواية

شيرين مصطفى

القاهرة يونيو ٢٠١٨

مازالت ميار متوترة ترزح الغرفة إيابا وذهابا، تدخن لفافة التبغ العاشرة وتحتسي القدح الثالث من القهوة، إنها لا تعرف كيف يقرأها حمدي، إنه يقرأ أفكارها، لقد تعرفت عليه للتو في النادي، كان بصحبة هيثم وعلياء أصدقائها، لقد قرأها منذ الوهلة الأولى، لقد عرف أنها حاولت الانتحار مرارا دون أن تقول له ذلك ولم تقل أي شيء عن موضوع الانتحار لأصدقائها ولم يرى أحدا رسغها ليرى آثار الانتحار، كيف قرأها بهذه السهولة، تخاف ميار ممن يمكنه بسهولة قراءتها، كما تخاف وتكره جميع الرجال. وما زاد من توترها تلك النظرات التي ينظرها لها وكأنه يعرفها منذ زمن بعيد، من هذا الحمدي وكيف يتعامل معها كأنه يعرفها منذ زمن، دارت العديد من الأسئلة في خلد ميار وزادت من توترها وها هي تشغل لفافة التبغ العشرون وترزح غرفتها إيابا وذهابا ولا تجد إجابة واضحة لأسئلتها، وتذكرت أن حمدي أعطاها رقم هاتفه المحمول دون أن تطلبه منه، بل وأصر أن تسجله أمامه على المحمول الخاص بها كأنه يعرف مسبقا أنها سترمي الورقة التي تحتوي على رقم هاتفه.

تذكرت ميار ما حدث في النادي حيث جلس حمدي مع هيثم وعلياء في انتظارها، لم تكن على علم بمجيء حمدي،

فوجئت ميار بحمدي يجلس مع صديقتها وحاولت الانصراف إلا أن علياء أصرت أن تجلس ميار معهم، كان حمدي يحدق بميار مما أزعجها بشدة وبدأت تشعر بالتوتر، ظنت أن صديقتها أرادت أن تفرض عليها أمرا واقعا بمرشح جديد للزواج به.

لاحظ حمدي توتر علياء وفتح بابا للحديث لكي يخفف عنها توترها ويعرف مدى سوء حالتها النفسية.

- اليوم في النادي، وأنا في طريقي إليكم، رأيت مشهدا صعبا للغاية، لقد رأيت رجلا يضرب امرأة وفهمت من سبّه لها أنها زوجته، لقد ضربها على مرئى ومسمع من الجميع ولم يتدخل أحد قط لإنقاذ هذه المسكينة من بين يديه، يا لها من همجية

- يا الله يا وماذا حدث بعد ذلك يا حمدي؟

- لا شيء يا هيثم حاولت أن اتدخل بينهم كي امنع عنها الضرب، كان رجلا همجيا بمعنى الكلمة وفكر ان علاقة ما آثمة تجمع بيني وبين زوجته وبسبب هذه العلاقة تدخلت لإنقاذها كاد أن يضربني أن أيضا يا له شخص مريض

- صراحة لا أستطيع أن أتخيل أن هناك أحد بهذه العقلية حتى الآن، كيف يفكر من الأساس في ضرب زوجته سواء كان ذلك في الخفاء أم في العلن.

- معكِ حق يا علياء من يفكر في ضرب أنثى ليس برجل، الرسول عليه الصلاة والسلام قال رفقا بالقوارير

- للأسف يا هيثم هناك بعض من الرجال يرى أن ضرب الأنثى رجولة، بل بالعكس من ذلك، فهذا إحساس بالنقص للأسف الشديد، ما رأيك يا أستاذة ميار؟

كانت ميار شاردة تتذكر ضرب عماد لها وآخر واقعة ضرب التي جعلتها تحتاج لعلاج أكثر من واحد وعشرين يوما قضت منهم أسبوعا كاملا في المستشفى ثم فوجئت بهم يحدقون بها فقالت معتذرة عن شرودها: "آسفة لقد كنت شاردة الذهن ماذا كنتم تقولون؟"

علياء وهي تنظر إلى ميار بتفهم لحالتها: "كنا نقول ان من يضرب سيدة هو شخص ناقص الرجولة"

- إنه ليس رجلا من الأساس من يفتري على من هو أضعف منه ليس برجل.

- ولماذا الانفعال يا أستاذة ميار؟

- قالت ميار وهي في قمة توترها وانفعالها: "أبدا لست منفعلة"

استأذن هيثم وعلياء في الذهاب للمقصف لطلب بعض المشروبات لهم، كانت هذه حجتهما لترك حمدي وحده مع ميار علّه يستطيع تقييم حالتها، زاد توتر ميار عندما تركتها علياء وحدها مع حمدي، ولاحظ حمدي التوتر الشديد لميار فقال محاولا تخفيف هذا التوتر

- على فكرة أنا لست آكل لحوم بشر أو مصاص دماء أو سفاح كي توتري كل هذا التوتر وأنتِ وحدك معي، يمكنني الذهاب إذا كان ذلك يشعرك بالتحسن.

- أبدا، أنا غير متوترة لماذا أتوتر؟

- هل كان زوجك يضربك يا أستاذة ميار؟

- من قال ذلك!

- انفعالك عندما قصصت عليكم قصة السيدة التي كان يضربها زوجها

- وهل أنت مُنَجِمًا كي تقرأ ما بداخلي، في الأساس كان انفعالي لأن هذا عمل همجي

حاولت ميار أن تداري توترها من قراءة حمدي لها وأن تظل صامتة حتى تأتي علياء، إلا ان حمدي فاجئها بسؤال جديد

- هل من الممكن أن أسألك سؤالا فضوليا؟

- تفضل، لكن إذا لم يعجبنِ السؤال لن أجيب عليه

- من حقك بالطبع، كم مرة حاولتِ فيها الانتحار؟

مرت ميار لا شعوريا على يديها مكان علامات الانتحار التي تداريها بقميص طويل الأكمام ثم قالت: "من قال إني حاولت الانتحار، ولما الانتحار؟!"

تأكد لحمدي أن ميار حاولت الانتحار من قبل عندما وجدها لا شعوريا تتلمس ذراعها ورسغها وتوترها البالغ من السؤال، طلبت ميار بعد ذلك السؤال من حمدي انتظار صديقتها في سكون، وبالفعل أتت علياء وهيثم عقب إشارة حمدي لهم بالمجيء، ولم تلحظ ميار ذلك.

أصر حمدي على إعطاء رقم هاتفه لميار وأصر على تسجيلها الرقم على الهاتف أمامه، هو يعلم علم اليقين أنه إذا أعطها الرقم مدون على ورقة سوف تقطعها عقب إعطاء ظهرها لهم، ولكن تسجيل الرقم على الهاتف سيجعلها تحاول الاتصال به، لشعورها أنه يقرأها دون أن يعرفها، لفضولها أن تعرف كيف قرأها.

تركتهم ميار منصرفة لمنزلها، وأثناء قيادتها السيارة كاد القلق

والتوتر أن يقتلها، تخاف أن يقرأها أحدًا بهذه السهولة خاصة إذا كان هذا الشخص رجل، تذكرت عماد وما فعله. وصلت لمنزلها ولا تعرف كيف وصلت كادت أن تحدث لها أكثر من حادثة في الطريق لشرودها ولكنها نجت من الحوادث بأعجوبة وأخير وصلت شقتها.

عادت من شرودها فيما حدث بالنادي وطلبت من أم حامد أن تعد لها القدح الرابع من القهوة مع لفافة التبغ العشرون ولا تعرف ماذا تفعل، فتحت هاتفها على رقم حمدي أكثر من مرة تحدق بالرقم ولا تعلم ماذا تفعل حتى قررت أن تتحدث معه وتسأله مباشرة كيف عرف عنها كل ذلك خاصة وأن لا أحد يعلم عن محاولتها الانتحار.

في هذه الاثناء دخلت عليها أم حامد بقدح القهوة وسألتها إن كانت تناولت شيئا تأكله أم تعد لها الطعام، فوجئت أم حامد بجواب ميار أنها لم تناول أي طعام منذ خرجت في الصباح الباكر وحتى الآن (الثامنة مساءا)، أشفقت عليها أم حامد وأصرت أن تعد لها الطعام، استسلمت ميار لإصرارها على تناولها الطعام، فميار حتى الآن لم تستطع مقاومة الإصرار على فعلها لشيء حتى وإن كانت لا تريده لم تَعْتَدْ بعد على الرفض التام لكل ما يقلقها

أو ما ترغم عليه.

ميار فتاة في الحادية والثلاثين من عمرها، قمحية لون البشرة، سوداء الشعر، خلعت حجابها وأصبحت تترك دائما شعرها يتمرد على ظهرها دون أن تقيده بأي شيء، تحب تمرده على ظهرها، تجد أن تمرده جزءا من تمردها هي على الحياة والمجتمع، متوسطة الطول، ترتدي دائما ملابس ذات أكمام طويلة لكي تخفي آثار انتحارها عن الجميع، تخرجت في الجامعة الأمريكية في كلية الترجمة وتعمل مرشدة سياحية في احدى الشركات، تعيش بمفردها في شقة في المعادي بعد طلاقها من زوجها عماد.

تتكون عائلة ميار من والدها عبد الهادي ووالدتها توحيدة، ميار هي الابنة الوحيدة لعبد الهادي وتوحيدة رزقا بها بعد انتظار دام عشر سنوات، هي الابنة الوحيدة ولكنها ليست مدللة، يرى عبد الهادي أن تدليل البنات يفسدهن وأن الشدة هي أفضل طريقة في تربية الإناث، لم تشعر ميار بأي انتماء لتلك الاسرة، تشعر دائما أنها جاءت غلطة في حياة هذه الاسرة نظرا لأسلوب الشدة المتبع في الأسرة.

لم يعارض والد ميار دراستها بالجامعة الأمريكية ولا عملها

كمرشدة سياحية في احدى الشركات الكبرى، ولكنه كان يعارض مبيتها خارج المنزل، أو تأخرها لما بعد السابعة مساءا في عملها. لا تسافر ميار مع الأفواج بل تكتفي بالأفواج السياحية داخل القاهرة فقط، عانت كثيرا لكي تكون كما أرادت، أجبرها والدها على ارتداء الحجاب وهي في المرحلة الإعدادية، فكان حجابها مجرد قطعة من القماش تداري شعرها، أما ملابسها فكانت دائما البنطالون الجينز مع قميص ذي أكمام طويلة –كي تخفي آثار محاولات الانتحار –والكوتشي، حاولت كثيرا الانتحار بكافة السبل والوسائل إلا أنها كانت تنقذ في اللحظة الأخيرة.

تعرفت في العمل على علياء زميلتها وصديقتها المقربة، تعلم علياء مدى قسوة عائلة ميار وتعلم طردهم لها من حياتهم وتبرأهم منها بعد ما فعلته بعماد ورفعها قضية طلاق، وقرارها العيش بمفردها في شقتها بالمعادي بعد الطلاق.

علياء هي صديقة ميار في العمل في الخامسة والعشرين من عمرها لم تتزوج بعد ولكنها مخطوبة من زميلها بالعمل هيثم وهما يحبان بعضهما البعض وعلى وشك الزواج بعد فوز والد علياء في انتخابات مجلس الشعب، علياء متوسطة الطول ونحيفة بعض الشيء لا ترتدي الحجاب تحب لبس الملابس ذات

الماركات العالمية إلا أن ملابسها رغم أنها من ماركات عالمية لا يتعارض مع تربيتها الصعيدية وهي تضع مساحيق تجميل وعطور ذات ماركات عالمية، وتعيش مع عمتها في القاهرة نظرا لأن أسرتها تعيش في محافظة أسيوط بصعيد مصر، فهي ميسورة الحال إلى جانب أن ما تتقاضاه مقابل عملها في الارشاد السياحي مبلغا كبيرا يساعدها على حياتها الرغدة، وقفت علياء بجانب ميار في محنتها مع زوجها وحتى طلاقها منه وبعد طلاق ميار اقترحت عليها الاشتراك في النادي لتمضية وقت فراغها ونصحتها بالعمل في الافواج الكبيرة التي تجوب مصر كلها ليتضاعف راتبها وبالفعل وافقت ميار على ذلك، وأصبحت تجوب جمهورية مصر العربية مع أفواجها وتضاعف دخلها من الشركة.

حاولت علياء التخفيف عن صديقتها وحاولت إدخالها في علاقات جديدة للزواج ولكنها فشلت فشلا ذريعا لخوف ميار من الرجال وكرهها لهم، فوجدت علياء ضرورة خضوع ميار لعلاج نفسي إلا أن ميار ترفض هذا الموضوع لنظرتها أن من يذهب للطبيب النفسي هو بالضرورة مجنون وفاقد الأهلية.

ذهبت علياء لعيادة دكتور حمدي وهو طبيب نفسي وصديق لهيثم، قصت عليه الظروف التي مرت بها ميار ورفضها للخضوع

للعلاج النفسي، ووافق حمدي على لقاء ميار في النادي حتى يرى بنفسه مدى سوء حالتها.

حمدي في الثامنة والثلاثين من عمره، قمحي البشرة، له شعر اسود فاحم مفلفل، طويل عريض المنكبين، له جسد رياضي وتعتبره الفتيات فتى أحلامهن، هو غير متزوج كرس كل وقته للعمل بعد قصة حب فاشلة بسبب سوء أحواله المادية آنذاك، وقرر بعدها عدم الارتباط حتى يحقق ذاته في عمله ويكون قادرا على تحمل نفقات الزواج.

أرادت ميار أن تخرج من دائرة القلق والتوتر فنادت على أم حامد لتتحدث معها عسى قلقها أن ينزاح عنها ويتركها في حالها سالمة

- لماذا شهدتي معي ضد عماد بعد ضربه لي في المرة الأخيرة رغم علمك بطردك من العمل بعد تلك الشهادة؟

- أنا يا أستاذة لدي بنات وأخاف عليهن إذا حدث لهن مثل ما حدث معك وساورني الخوف إذا كذبت أو سكت عن قول الحق أن يحدث معهن كذلك ولا يجدن من يقف معهن، فكما تدين تدان.

- ما هي قصتك يا أم حامد منذ جئتِ للعمل لدينا وأنا لا

أعرف عنك شيئا عدا اسمك

- أنا يا أستاذة ميار سيدة كانت تعيش في بيت زوجها معززة مكرمة، اسمي فاطمة كما تعرفين، ولي منه ثلاثة أولاد هم حامد وبتول وبدور كنت سيدة في بيتي طلباتي مجابة رغم زواج زوجي من أخرى لم أعرف مشقة العمل بعد أن تزوجت، قبل زواجي عملت في الأردن أكثر من عمل لأنفق على اخوتي بعد إصابة والدي في عمله إصابة جعلته لا يستطيع العمل، وبعدها بدأ اخوتي الذكور في العمل للمساعدة على طلبات البيت، ثم رأيت زوجي حامد وطلبني للزواج ووافقت أسرتي على هذه الزيجة، كنا في الأردن في ذلك الوقت، ثم عاد زوجي لموطنه الأصلي مصر، كانت طلباتي مجابة ورزقت منه أبنائي حامد وبتول وبدور، وكانت حياتنا رغدة بعض الشيء حيث كان زوجي صاحبا لورشة صناعة الحقائب الحريمي وانتاجه كله يذهب لشركة ذات ماركة معروفة وكنت أقطن مع والدة زوجي، ثم علمت بزواجه بأخرى، ورغم ذلك لم تتأثر حياتنا كثيرا بعد زواجه رحمه الله، حتى مات زوجي وأنا في الأربعين من عمري، بعد وفاته وقبل مرور فترة عدتي تقدم لي أخيه للزواج مني فرفضت وفاءً لذكرى زوجي وعندها طردني اخوة زوجي من المنزل وصرت أنا وأولادي في

الشارع بلا مأوى وبلا مصدر للرزق إلا من نصيب زوجي في ورشة الحقائب كان لابد لي من البحث عن منزل نحتمي فيه من الشارع ومصائبه حتى وجدت شقة صغيرة ايجار جديد وبحثت عن عمل ولأني ليس معي سوى شهادة الصف الثاني الاعدادي من بلدي الأردن لم يعترف بها أحد هنا في مصر فكان العمل المناسب لي الخدمة في البيوت. عملت في أكثر من منزل ولكني لم أشعر بالراحة فكنت اترك العمل وابحث عن غيره حتى جئت للعمل لديكم لم ارتح لزوجك السابق ولم تعجبني طريقته المتعالية في التعامل ولكنك كنت على العكس منه فارتحت لكِ لذا أكملت في عملي معكم لقد كنت أشعر بالشفقة عليك من تعامل طليقك معك كلما سبك أو ضربك حتى ضربك في المرة الأخيرة هالني منظر الدماء وهي تتدفق من رأسك فطلبت الإسعاف وأنا اعلم علم اليقين أن المستشفى ستتصل بالشرطة وسيكون هناك محضرا بالواقعة وقررت أن أقف إلى جانبك وليكن ما يكون فالرزّاق هو الله ولي بنات أخاف عليهن

- وهل يعمل ابنك أيضا؟

- ابني هداه الله يجلس في البيت لا يريد العمل، كلما أتيت له بعمل يعمل يوم أو يومان ثم يترك العمل أعجبه الجلوس في

المنزل مثل البنات مازال غير واعٍ لوفاة والده وتغير الظروف كل ما يجيد عمله هو طلب المال وإن رفضت يُكسر في المنزل ويعلو صوته وأحيانا يضربني، لا أدري ما الحل معه اخوة زوجي قالوا لا شأن لنا بأولادك واخوتي كلهم في الأردن

- ولماذا لم تسافري لوطنك بعد وفاة زوجك؟

- لو سافرت سأظل في البيت بلا عمل وسينفق عليّ اخوتي وهذا سيزعجك زوجاتهم أو يسبب لهم الضيق وأنا لا أريد أن أتسبب لهم في المشاكل كما لا أريد أن يتحكم أحد في أو في أولادي ولكني أفكر في السفر وترك ولدي لدى اخوتي ليتصرفوا معه كيفما شاءوا علّه يصبح رجلا

- هؤلاء هم الرجال يظنون أنفسهم أفضل من النساء ومن واجب النساء خدمتهم

- أزعجتك بكلامي الذي لا ينتهي، هل ترغبي في أن أحضر لك الحمام قبل أن أنصرف؟

- يكون ذلك أفضل

دخلت ميار تأخذ حمامها الدافئ لتطرح عنها قلق وتوتر هذا اليوم وتفكر هل تتصل بحمدي أم لا؟ وإذا اتصلت به ماذا ستقول له؟ لا تعرف ولكنها تريد أن تعرف كيف عرف عنها كل ذلك

وهو يراها للمرة الأولى

انهت حمامها وامسكت بهاتفها تطلب منه رقم حمدي فجاءها صوته على الخط الآخر يسأل عن هوية المتصل فأغلقت الخط دون أن تنبس ببنت شفة، واستسلمت للنوم لكي تذهب لعملها في الصباح الباكر.

التقت بعلياء في العمل كل منهما ستعمل مع الأخرى في اصطحاب أحد الأفواج السياحية لمدينة شرم الشيخ، سألت ميار صديقتها عن حمدي وكيف واتته جرأته ليتحدث معها بهذه الطريقة وكيف عرف ما كان يفعله زوجها معها، تلعثمت علياء في الرد عليها حتى حاصرتها ميار بأسئلتها فاعترفت لها علياء بأن حمدي هو صديق هيثم وأنه طبيب نفسي؛ لذا من السهل عليه قراءة الأشخاص وردود أفعالهم. استاءت ميار أن علياء أخفت عنها أن حمدي طبيب نفسي وكادت أن تنهي علاقتها بعلياء حتى استسمحتها علياء كي تغفر لها هذه الذلة.

تفهمت ميار كيف قرأها حمدي منذ اللحظة الأولى والطريقة التي كان ينظر بها إليها، ولكنها قررت أن تتصل به كي توبخه على إخفاء هويته وتطلب منه نسيان ما قيل بينهما في النادي، ففوجئت بحمدي يقول لها أنها مريضة وفي حاجة ماسة

للعلاج واعطاها عنوان العيادة، كانت المفاجأة كفيلة بأن تسمع منه عنوان العيادة ولكنها عادت لرشدها وأغلقت الخط في وجهه وهي تقول إنها لن تذهب للعلاج فهي ليست بمريضة.

قبل ذلك بخمس سنوات...

تقدم عماد ابن عم ميار للزواج منها وأجبرتها أسرتها على قبوله والزواج منه لأن الأسرة لا تفكر في ارتباطها من خارج العائلة، لم تحب عماد ولكنها تزوجته مجبرة وهو تزوجها إرضاءً والده ووالدته؛ فوالدته رأت أن وحيدها أتم عامه الثلاثين دون زواج ورأت أن ميار الأنسب له نظرا لطريقة تربيتها وأخلاقها التي يشهد بها الجميع، فرضخ عماد لرغبة والدته بعد أن رحب والده بهذه الزيجة. كانت ميار تبلغ من العمر ستة وعشرون عاما، كان عماد بالنسبة لها مجرد ابن عمها المتسلط، فمنذ كانوا صغارا كان يفرض رأيه على الجميع خاصة هي، يعتبر نفسه الوريث الوحيد للعائلة، فعمه لم ينجب ذكورا ووالده لم ينجب غيره؛ لذا اعتبر نفسه ملكا متوجا تلبى رغباته دائما، وهكذا كان يعامل من كلا الاسرتين. رفضته علياء كثيرا إلا أن والديها أصرا على إتمام هذه الزيجة ووجدت نفسها مجبرة على الزواج منه.

لم يتغير شعورها بعدم الانتماء والقهر بعد زواجها من عماد، فعماد متسلط، يفرض رأيه وسيطرته على كل شيء حتى الطعام الذي تأكله ميار، رغم أن المنزل به خدم وطهاة إلا أنه أجبرها على إعداد الطعام بنفسها في أيام إجازتها من العمل، هو

من يختار نوع الطعام حتى وإن كانت لا تحبه، ولا يسمح بأصناف إضافية، تشعر أنه يعاقبها على زواجها به، عنيف في تصرفاته وكلامه، لم تسمع منه كلمة إطراء واحدة منذ زواجها منه. عاملها بمنتهى العنف والهمجية ليلة زفافهما، لم يرحم توسلاتها إليه ولا دموعها التي فاضت أنهارا، لم يتركها حتى انتهى منها وتركها ونام مستريح البال والخاطر ولم يكلف نفسه عناء الاطمئنان عليها، ظلت ذلك اليوم متيقظة لا تستطيع النوم من شدة البكاء، تشعر كأنها فريسة تمكن منها الصياد ولم يتركها حتى ذبحها. لم يبارحها ذلك الشعور منذ تزوجت ولم يُقلق ذلك أبدا عماد الذي كان يحب نشوة الانتصار على الضحية في كل مرة يأخذها فيها.

مر على زواجها في ذلك الشقاء عامان ذاقت خلالها المرار بكافة أشكاله نفسية وجسدية، زاد على شقائها تساؤل أسرتها وأسرة عماد عن سبب تأخير حدوث الحمل، حيث لم يفطن عماد أنها استخدمت وسائل منع الحمل منذ الليلة الأولى لزواجها، لم ترد أن تنجب قبل أن تشعر بالراحة في بيتها مع زوجها وهو الشعور الذي غاب عنها منذ اللحظة الأولى لها في منزل الزوجية.

عندما تأخر الحمل أصر عماد على الذهاب لطبيب النساء ليعرف السبب، علم من الطبيب أن ميار تستخدم وسيلة لمنع الحمل، استشاط عماد غضبا وظل يضرب ميارً حتى وقعت على الأرض وهي فاقدة للوعي. تركها مكانها واتصل بعمه يخبره بما حدث عند الطبيب ويخبره ان ابنته طالق.

عندما استفاقت من اغمائها وجدت والديها في الشقة دون عماد كل منهما يوبخها على منعها للحمل الذي تنتظره العائلتين بفارغ الصبر ولم يكترث أحدهما لآثار الدماء والضرب على وجه وجسد ابنتهما وأصر الوالدان على اصطحاب ابنتهما لطبيب النساء لنزع وسيلة منع الحمل كما أصرا على عودتها لعماد مرة أخرى. رفضت ميار بكل ما أوتيت من قوة عودتها مرة أخرى لعماد، فما كان من والدها إلا أن ابرحها ضربا وذهب بها للطبيب لإزالة وسيلة منع الحمل، واتصل بعماد يخبره أن ميار نزعت وسيلة منع الحمل وأنهم في انتظاره لرد ميار لعصمته مرة أخرى، وبالفعل رد عماد ميار لعصمته مرة أخرى، ولم يحسن عشرتها بل كان يتحين أية فرصة ليهينها، يشعر أن كرامته أهدرت عندما رفضت زوجته أن تحمل في أحشائها طفلا منه.

لم تتغير معاملة عماد الجافة لميار، ثم الحمل بعد ثلاثة

أشهر من عودتها إليه، أجهضت ميار حملها دون أن تخبر أحدا، وحاولت أن تنتحر مرات عدة، ازدادت معاملة عماد سوءا لميار بعد محاولتها الانتحار وكان يضربها باستمرار ولم تؤثر فيه كلمات الطبيب في المستشفى أن ميار تحتاج بشدة لعلاج نفسي نظرا لحالة الانهيار التي تمر بها، ضرب بكلام الطبيب عرض الحائط وكان يعاقبها بالضرب إثر كل محاولة للانتحار، يشعر بهدر كرامته مع برودها معه ومحاولتها الانتحار للتخلص منه.

عماد هو ابن عم ميار الطفل المدلل دائما، في الثلاثين من عمره، متوسط القامة، ليس بالقبيح ولا الوسيم، شعره بني اللون، هو الابن الوحيد لوالديه وللعائلة، وأدى ذلك إلى تدليله بشدة، كافة طلباته مجابة، أناني جدا، ورأى في زواجه من ابنة عمه نعمة لها لا تقدر بثمن، لم يفكر في حسن عشرة ميار حيث يرى أن ذلك انتقاص من رجولته، فهو يرى أن الرجولة تكمن في الشدة والحزم.

كان رفض ميار له منذ الليلة الأولى في زواجهما بمثابة طعنة له في رجولته أراد أن يعاقبها عليها. لم يفطن أن ما منع ميار منه في الليلة الأولى للزواج هو خوفها منه ومن الزواج عموما، ولم يشغل نفسه بمحاولة طمأنتها، ولأنه سئم من نفورها منه بدأ في

علاقات محرمة متعددة، وفي كل مرة يأخذ فيها ميار يرى إحدى الساقطات اللائي يمارس معهن الرذيلة فيقع على ميار كما البهيمة.

كان رفض ميار الحمل منه طعنة جديدة في رجولته أراد معاقبتها عليه، كان الضرب والإهانة أسهل الطرق بالنسبة له للتعامل مع زوجته ويرى أن ذلك حق متأصل له وذلك لأنها زوجته يفعل بها ما يشاء وازداد عاقبه لها برمي يمين الطلاق عليها للإمعان في ذلها.

وكان في ذلك الوقت قد بدأ علاقة آثمة مع سها سكرتيرته في العمل، كانت لديها الأنوثة الطاغية التي تفقدها زوجته، التي شعر بالندم على زواجه منها لبرودها معه وصدها له، على العكس مما كان يلاقيه في علاقاته المحرمة الأخرى. وعندما اتصل به عمه ليرد ميار مرة أخرى لعصمته أقسم على ذلها بكل ما أوتي من قوة لتعلم النعمة التي تعيش فيها والتي كانت لا تحلم بها، فكفى بها أنها زوجته وأنه وافق على زواجه منها.

استسلمت ميار للأمر الواقع بعد مرور ستة أشهر على رجوعها لزوها مرة أخرى وعلمت بحملها مرة أخرى، كم عانت عندما علمت أنها تحمل في أحشائها طفلا سيكون امتدادا

لمغتصبها، كم تألمت عندما أدركت أن هناك طفلا سيولد بلا أي ذنب جناه ليكون ابن عماد فزعت عندما تخيلت أن الجنين يمكن أن يكون انثى تعاني في حياتها ما عانت هي منه فأجهضت الحمل قبل أن يعلم أحد به. استسلمت جسديا لعماد لم تعطه جسدها بإرادتها ولكنها لم تعد تحاول الفرار منه كعادتها، واستراح هو لذلك الشعور ولكن برودها كان يزيد من نفوره منها يشعر أنه أمام امرأة بلا مشاعر باردة مثل لوح من الثلج، خاصة عندما يقارنها بسها سكرتيرته الجديدة التي يشعر أنها ذات أنوثة طاغية، كلما وطء زوجته تذكر سها فينهال برغبته في سها على جسد زوجته برغبة لا قبل لها بها ولكنه وسط رغبته الجامحة ومع برود ميار يعود ليرى ميار أمامه فينتهي منها ويشعل لفافة تبغ ويتمنى لو كانت سها مكانها.

مر عام آخر على زواج ميار توفى خلاله والدها عبد الهادي، لم تشعر ميار بالحزن على والدها، بل كانت تلعنه في نفسها آلاف المرات لِمَا أجبرها على التعايش معه، ولشدته وقسوته معها وتحمد الله أنه توفى، كانت تشعر أن دموع والدتها ليست حزنا على وفاة زوجها وإنما فرحا بعهد جديد من الحرية.

اكتشفت ميار حملها مرة أخرى بعد وفاة والدها مباشرة؛ فما

كـان منهـا إلا أن أجهـضت نفـسها قبـل أن يعلـم أحـد بحملهـا، وأصرت على طلب الطلاق من زوجها الذي واجه طلبها بضربها بكل ما أوتي من قوة، فأخبرته بإجهاضها ولده لثالث مرة وأنها لا تطيق الحياة معه، خاصة وأنه يخونها وأنها تعلم ذلك منذ فترة ولكنها صمتت لعلمها أن أحدا لن يستمع إليها في أسرتها، ضربها عماد حتى فقدت الوعي وتركها وخرج.

في تلك الأثناء كانت أم حامد في المنزل، شعرت أم حامد بالإشفاق على ميار وخافت عليها خاصة عندما وجدت الدماء تتدفق من رأسها، اتصلت بالإسعاف الذي حضر وأخذها لأحدى المستشفيات العامة واضطرت المستشفى إثر آثار الضرب الواضحة على ميار وحالة النزيف للاتصال بقسم الشرطة لتحرير محضرا بالواقعة، بعدما استفاقت ميار وجدت نفسها في المستشفى ورأسها ملفوف بالشاش الطبي وحولها الطبيب يسألها عن حالها وبياناتها وأخبرها أن هناك ضابط شرطة ينتظر كي يكمل محضر الاعتداء بالضرب عليها، اتهمت زوجها بالاعتداء بالضرب عليها واستشهدت بالخدم في المنزل وتم تحرير محضر بالواقعة وتم القبض على عماد نظرا لأنها تحتاج لعلاج أكثر من واحد وعشرين يوما.

بعد تعافيها أخذت ميار رقم المحضر وصورة منه لترفع دعوى طلاق على عماد –دون علم والدتها حيث أقامت مع والدتها عقب خروجها من المستشفى ورفضت الرجوع لعماد مرة أخرى –مستندة للمحضر والحكم الذي صدر ضد عماد بالحبس بسبب اعتدائه عليها بالضرب، لم ينتظر عماد نظر القضية وطلقها غيابيا وأرسل قسيمة الطلاق على منزل والدتها.

فرحت ميار بخبر طلاقها من زوجها كثيرا ولكنها لم توقف إجراءات الطلاق في المحكمة خوفا من رده لها لأن الطلاق كان رجعيا، انتظرت حتى أوفت عدتها ثم تنازلت عن القضية فهو لم يعد قادرا على ردها لعصمته مرة أخرى.

أما عماد لم يفكر في ردها مرة أخرى بعد شعوره بنفورها منه وجرحها لكرامته وتسببها في حبسه مدة ثلاثة أشهر قضاها في الحبس. أصرت والدة ميار على مكوث ميار معها في المنزل وتركها لعملها بعد طلاقها إلا أن ميار اعترضت وتمردت على والدتها وتركت لها المنزل واستأجرت لها منزلا في المعادي وعاشت به وحدها مع أم حامد الخادمة التي أنقذتها من الموت، خاصة أن عماد طردها العمل بعد شهادتها ضده، خلعت ميار الحجاب الذي أجبرت عليه وأسدلت شعرها ليتمرد على حياتها

كما تمردت هي، تبرأ منها عمها كما تبرأت منها والدتها وطردوها من حياتهم، فلم تكترث؛ فهي لم ترى منهم سوى القسوة والجحود لقد وجدت حريتها في وفاة والدها وطلاقها وترك عائلة لم تشعر يوما أنها جزء منها وخلعت الحجاب آخر ما يربطها بسلسلة القهر التي عانتها، واشتركت في أحد النوادي الذي تشترك بها زميلتها في العمل علياء لتمضية وقت فراغها هناك حتى لا تشعر بالوحدة.

بعد تجربة زواجها من عماد كرهت ميار جميع الرجال وأصبح الجميع في نظرها همج يستحقون الضرب بالرصاص، ومن ضمنهم هيثم خطيب علياء رغم تظاهرها بأنهم أصدقاء فهي تكرهه كما تكره كل الرجال وتشعر أنه لا يحب علياء ولكنه يمثل الحب للارتباط بها والاستفادة من وجود والدها في مجلس الشعب وغنى أسرتها ولكن ميار كانت تسمح بتواجده في دائرتها لحبها لعلياء لا أكثر.

أصبح روتين ميار اليومي الذهاب للعمل وإذا كانت في القاهرة تذهب إلى النادي لتركض هناك لتخرج طاقة من الكره لجميع الرجال وللمجتمع –الذي رأي في طلاقها فريسة سهلة للانقضاض عليها –ثم تتناول طعامها وتجلس وحدها أو مع علياء وهيثم. فوجود علياء يرتبط دائما بوجود هيثم، أحيانا تتركهما ميار ليكونا بحريتهما في الحديث وتجلس هي وحدها تتأمل في الطبيعة أو تمارس أي نشاط.

رغم صداقة علياء وميار إلا أن علياء لم تعلم شيئا عن محاولات ميار للانتحار، فميار تعتبر ذلك سرا خاصا بها وحدها، تعلم في قرار نفسها أن ذلك شيء مشين لا يجب أن يعرف به أحد خاصة مع المعاملة القاسية التي تلقاها بعد كل محاولة للانتحار. كانت علياء تعلم سوء معاملة والدا ميار لها ثم همجية عماد في التعامل وهي من نصحتها بالإجهاض حتى لا يربطها أي رابط بعماد وحتى تستطيع الفرار منه بسهولة، فعلياء كانت تعلم أن الطلاق آت لا محالة.

الوقت الراهن..

وجدت ميار نفسها بعد عودتها من شرم الشيخ تتصل مرة

أخرى بالدكتور حمدي لتحدد موعدا لزيارته في العيادة، بعد أن وجدت نفسها تحاول الانتحار مرة أخرى، تشعر دائما بنوبات غضب تدفعها للانتحار ولا تعلم سببها لقد تركت مصدر الضغط والقهر وأخيرا تحررت منه، وتحررت من كل شيء أجبرت عليه وقررت الذهاب لحمدي فهو في النهاية صديق لعلياء، كما أن علياء تثق به كما أخبرتها سابقا

في عيادة حمدي..

دخلت ميار متأنقة في رداءها المعتاد تطلب من السكرتيرة إخبار حمدي بوجودها في العيادة، طلبت منها السكرتيرة الانتظار حتى تبلغ الطبيب بمجيئها، وحتى تخرج الحالة التي عند الطبيب، في هذه الفترة اتخذت ميار كرسي في ركن العيادة وجالت ببصرها في العيادة. العيادة عبارة عن شقة كبيرة لها ريسبشن واسع كبير مطلي باللون الأبيض ومعلق به بعض اللوحات وهناك غرفة الكشف وغرفة أخرى مغلقة لا تعلم ما بها، كانت الكراسي من الجلد، مريحة للجلوس عليها فأحصتها عددا في جولتها لتفحص العيادة ووجدتهم عشرون كرسيًا، لم تفق ميار من شرودها في تفقد العيادة إلا على صوت السكرتيرة تطلب منها الدخول لحمدي

- اهلا أستاذة ميار أنا سعيد جدا بموافقتك أخيرا على العلاج

- شكرا لحضرتك، ولكن قبل أن نبدأ لي سؤال

- تفضلي

- كيف عرفت أني حاولت الانتحار سابقا

- إنه شيء بسيط وبديهي عرفته بعد أن علمت من علياء مدى قسوة زوجك وأسرتك معك في التعامل وما أكد ذلك مرورك لا إراديا على أماكن الانتحار على يديكِ هل من الممكن أن نبدأ الجلسة

- بالطبع

- ما سبب اتصالك لكي تأتي للكشف خاصة وأنت تعتبري ذلك من المستحيلات

- حاولت انتحر مرة أخرى في شرم الشيخ وعلياء انقذتني في اللحظة الأخيرة وهي من ألحت عليّ بالمجيء

- وما هو سبب محاولة الانتحار

- هل تصدقني إن قلت لك لا أعرف، كل ما أعرفه إني بسبب قسوة عائلتي وزوجي كنت أحاول الانتحار كي أهرب

منهم ومن تحكمهم وقسوتهم، لكن هذه المرة لا أدري سبب الانتحار خاصة بعد بُعدي تماما عن مصدر الضغط

- تمام، سأحاول أن أبدأ معك من البداية احكي لي عن طفولتك

- أنا الابنة الوحيدة ليس لي اخوة، ولكني للأسف لم أر أي حب أو تدليل من أهلي كما يمكن أن يجول بخاطر أي شخص، لا أتذكر أي مرة دللني أحدهم بل على العكس كل ما أتذكره هو ضرب والدي لي على أي تصرف حتى لو كان غير مقصود، وعندما وصلت لسن البلوغ زاد العنف والقلق والتوتر وفرض عليّ ارتداء الحجاب وأجريت لي عملية ختان ما زلت أتذكرها بما حدث فيها حتى الآن من بشاعتها

وانهارت ميار في البكاء، وأعطاها حمدي محرمة ورقية لتمسح عنها دموعها

- هل تحبي أن تتحدثي عن هذه التجربة، أم أنك غير قادرة، مع العلم أن الكلام سوف يساعدك كثيرا ولكن إذا لم ترغبِ في الحديث عنها من الممكن أن نتجاوزها

- أكملت ميار وهي تحارب دموعها من الانسياب ودموعها تأبى إلا النزول والانهمار شلالات وأنهارا على

وجنتيها: لا أستطيع نسيان ذلك اليوم عندما جئت من المدرسة ووجدت امرأة غريبة عندنا في المنزل، وقالت لي والدتي أنها طبيبة تمط لنا بصلة قرابة وجاءت لزيارتنا وتوقع الكشف الطبي عليّ لما يبدو عليّ من تعب وشحوب، استغربت من هذا الحنان المفاجئ وكأنهم تذكروا فجأة أني ابنتهم واستأذنت ودخلت لتغيير ملابس المدرسة ودخلت والدتي ورائي هي والطبيبة وكنت قد خلعت رداء المدرسة وكنت في ملابسي الداخلية وسمعت والدتي تقول لها دون تخدير لم أفهم معنى ذلك وقتها إلا أنني فهمت بعد دقائق معدودة وفهمت معنى نظرات الطبيبة الحزينة تجاهي لما سأقبل عليه من ألم عندما رفضت أمي التخدير، وبغتة وجدت أمي تجردني من النصف الأسفل من ملابسي الداخلية وتدفعني دفعا على الفراش أمام الطبيبة وبمنتهى القسوة والعنف باعدت بين قدمي حتى ظهرت عورتي حاولت ضم قدمي ولم أستطيع سيطر عليّ شعور بالخوف والحرج وزاد الخوف عندما شاهدت الطبيبة تفتح حقيبة معها وطلبت من أمي ان تباعد قدمي أكثر حتى تستطيع إنهاء مهمتها على الوجه الأكمل، مهما حاولت أن أصف ذلك الشعور بالألم والقهر لن أستطيع من شدة ما شعرت به من الألم والقهر، شدة ألم جعلتني أصرخ حتى يلين

لي قلب أحدهم ويوقف هذه البشاعة ولكن وجدتني أصرخ في صحراء ليس بها سواي، وقهر جعلني أدرك أن كوني أنثى هو خطأ فادح اقترفته دون ذنب لي فيه. أنهت الطبيبة عملها، وقتها زغردت والدتي وأنا ابكي من الألم ومن الانتهاك الذي حدث لي في ذلك اليوم. بعد ذلك كانت أول محاولة للانتحار كنت وقتها في أول سنة في المرحلة الإعدادية، تناولت وقتها شريط من دواء القلب الخاص بوالدي، وغامت الدنيا في عيناي وفقدت الوعي إلا أني أفقت للأسف ووجدتني في المستشفى، ونظرات الوعيد في عين والدي ووالدتي، وعندما غادرت المستشفى ضربت ضربا مبرحا جعل لون جلدي هو اللون الأزرق ولم أذهب للمدرسة لمدة أسبوع كامل حتى تختفي آثار الضرب

انفجرت ميار في البكاء بشكل هيستيري مما دفع حمدي لإعطائها حقنة مهدئة وطلب منها الانتظار قليلا في الخارج ورافقتها السكرتيرة وأجلستها على أحد الكراسي الموجودة، شعرت ميار بعد الحقنة أن الأرض تميد بها وأن العالم من حولها يدور ولم ترى شيئا بعد ذلك، لم تفق إلا على صوت حمدي يسألها عن حالها وكانت قد استردت بعض من توازنها، كان حمدي قد اتصل بعلياء لتأتي لاصطحاب ميار لمنزلها بعد هذه

الحقنة، وبالفعل وصلت علياء بعد حوالي ساعة من إعطاء ميار الحقنة المهدئة وأعطى علياء روشتة العلاج الخاصة بميار وطلب منها إخبار ميار بموعد الكشف التالي.

اتكأت ميار على صديقتها حتى وصلت لسيارتها بينما أصرت علياء على أن تقود هي السيارة بدلا منها، واستسلمت ميار لذلك؛ لما تشعر به من دوار، أوصلتها علياء للمنزل وأدخلتها غرفتها ورقدت ميار على فراشها بملابسها.

عادت علياء لعيادة حمدي لتستقل سيارتها بعد أن تركتها هناك لتوصل ميار استقلت سيارتها واتصلت على حمدي لتسأله عن أخبار صديقتها وما أوصلها لهذه الدرجة من الانهيار، اعتذر حمدي بطريقة مهذبة من علياء لأن هذه أسرار مرضى لا يجوز له التحدث عنها وطلب منها ملازمة ميار قدر الإمكان لاحتمال انتحارها مرة أخرى.

اتصلت علياء بعمتها تستأذنها في المبيت مع ميار لمرضها ووافقت عمتها على مبيتها مع ميار حتى موعد زيارتها التالي لعيادة حمدي. عندما أفاقت ميار من غفوتها وجدت علياء تنام جوارها فتحركت بخفة كي لا توقظ علياء. كانت أم حامد قد وصلت لمنزل ميار لتوها؛ فطلبت منها ميار إعداد قدح من القهوة

لها وأشعلت لفافة تبغ، مما حدا أم حامد لتقول لها أن تنتظر لتتناول طعام الإفطار أولا ثم شرب القهوة وإشعال لفافات التبغ. تعلم ام حامد جيدا أن ميار إذا شربت القهوة ولفافة التبغ فإنها لن تأكل وستظل كذلك حتى المساء.

استيقظت علياء فلم تجد ميار بجانبها فخافت أن تكون ميار قد آذت نفسها، فخرجت من الغرفة تبحث عنها في الشقة، فوجدتها في الشرفة تحتسي قهوتها، سألتها علياء إن كانت ستذهب اليوم للعمل فأجابتها ميار انها ستأخذ هذا اليوم عطلة من العمل، فاتصلت علياء بالشركة التي يعملون بها وطلبت تقديم أجازه لها ولميار اليوم من العمل.

طلبت علياء من أم حامد إعداد الإفطار لها ولميار، وأصرت علياء على ميار أن تتناول الإفطار قبل تناولها الدواء الذي أوصى به الطبيب، رفضت ميار في البداية تناول الإفطار والدواء إلا أن علياء ألحت عليها في ذلك، فأذعنت ميار وتناولت كليهما طعام الإفطار، ثم دوائها. شعرت ميار ببعض الغثيان فطمأنتها علياء أن ذلك عرض طبيعي للأدوية التي تناولتها توا، وأنها ستشعر بتحسن بعد فترة قصيرة، طلبت علياء العصير لها وصاحبتها وجلستا سويا تتحدثان عن هيثم وحمدي وضرورة انتظام ميار في

العلاج.

لم تتخيل علياء أبدا محاولة صديقتها الانتحار، خافت عليها كثيرا ولم تعرف ماذا تفعل فأصرت على ذهاب ميار لعيادة حمدي حتى تعرف سبب محاولتها الانتحار وتمنع حدوث ذلك مرة أخرى، كان حمدي قد طلب مجيء ميار بعد أسبوع حتى يعلم تأثير الدواء على ميار.

كانت ميار تعاني كثيرا من الكوابيس والأحلام المزعجة خاصة بعد بدء تناولها الدواء، لا تعرف لما تراودها هذه الكوابيس الآن، إنها قلقة ومتوترة بما يكفي فلا ينقصها سوى الكوابيس المزعجة وعدم القدرة على النوم لوقت كاف، فهي تأخذ أدويتها لتنام ولكن لا تنقضي ساعة حتى تقوم فزعة من أسوأ كوابيسها على الإطلاق، ولا تستطيع النوم بعده مرة أخرى، لم تعد قادرة على الذهاب للعمل، ولا الخروج، تقدمت بطلب أجازتها السنوية من العمل حتى تسترد قدرتها على العمل مرة أخرى، اضطرت علياء بسبب طلب ميار أجازتها السنوية أن تتفق مع أم حامد ألا تغادر قبل مجيئها لميار حفاظا على حياة ميار.

تعاقبت كل من أم حامد وعلياء على ميار، وجاء موعد الطبيب بعد مرور أسبوع على آخر زيارة، كانت ميار فيه مجهدة

تشعر أن دهرا قد مر عليها وليس أسبوعا واحدا.

في عيادة حمدي..

- كيف تشعرين اليوم يا أستاذة ميار

- لا أعرف تحديدا ولكن ما أعرفه أني في أسوأ حالاتي، بالكاد أمنع نفسي عن الانتحار لا أستطيع أنا غير قادرة على منع نفسي على الأقل من التفكير في الانتحار

- تمام في تلك الحالة أنا مضطر أن أحجزك في مصحة حتى تمر حالة الاكتئاب والرغبة في الانتحار

- لا أدري، فهذه المصحة لفاقدي الأهلية فاقدي عقولهم، أليس كذلك؟!

- من قال ذلك، هناك حالات اكتئاب وأناس مثلك حاولوا الانتحار هم هناك للعلاج حتى يتحسنوا ثم يغادروا المستشفى، أنتِ بالفعل تحتاجين الحجز في المصحة حتى تتحسن حالتك

- حاضر طالما أن ذلك رأيك في حالتي

- سوف أتصل بالمصحة واحجز لك هناك، يا ليت علياء توصلك إلى هناك

- سوف اتصل بها كي تأتي

- تمام، هل من ممكن أن تحكي لي ماذا حدث

- كوابيس كثيرة، أنا غير قادرة على النوم، نمت مساء أول يوم أتناول فيه الدواء بعد ذلك زادت الكوابيس عن المعتاد استيقظ قبل أن أكمل ساعة أو ساعتين على الأكثر في النوم.

- هل تراودك كوابيس متعددة أم هو كابوس واحد يتكرر

- إنه كابوس متكرر لكن باقي الكوابيس تتكرر مرة أو مرتان

- هل من الممكن أن تحكي لي على أكثر كابوس تكرارا

- إنه الأسوأ على الإطلاق، أرى نفسي في أول يوم زواج واغتصاب زوجي لي، أرى ذلك اليوم بكل تفاصيله، وأنا أصرخ ولا يسمع صوتي أحد حتى انتهت عملية الاغتصاب، بعد ذلك استيقظ من نومي فزعة

- أريدك أن تحكي لي عن تفاصيل زواجك من زوجك السابق وهل كنتِ تحبينه؟

- أبدا لم أحبه قط. لقد تزوجته رغما عني لرأي عائلتي أني لا يمكنني الزواج من خارج العائلة ولا يوجد لعائلتنا سوى أبي وعمي ولا يوجد لهما أبناء سوانا أنا وعماد رغم رفضي له أهلي

أجبروني عليه واضطررت بالفعل أن اتزوجه. أول يوم زواج كان ثاني أسوأ يوم في حياتي بعد يوم الختان، يومها دخلنا مسكن الزوجية وطلب مني عماد أن ندخل غرفة النوم وفي المسافة بين دخولنا من باب المنزل حتى غرفة النوم كان قد تجرد تماما من ملابسه هالني المنظر عندما رأيته عاريا تماما أمامي بلا أي ملابس تستره وتستر عورته ونظرة غريبة في عينه قرب مني ومزق فستان الزفاف وأنا اترجاه أن ينتظر قليلا وبعد ما مزق ملابسي لم يتركني حتى سلبني عذريتي وتركتني غارقة في دمائي عارية تماما من أي شيء يسترني وغير قادرة حتى على ستر نفسي بأي شيء، تركني ونام دون أي شعور بما فعل وكأنه لم يفعل شيئا.

وبكت ميار بهيستريا وهي تحكي تفاصل هذا اليوم حتى أصبحت غير قادرة على التنفس من شدة البكاء

- أستاذة ميار هل انتِ على ما يرام، أستاذة ميار
- أنا غير قادرة على التنفس وأخذت في البكاء الهيستيري

أعطاها حمدي حقنة أخرى مهدئة وانتظر مجيء علياء لتصطحب صديقتها للمصحة التي أوصى بها. بالفعل ذهبت بها علياء للمصحة وأخذت أمانات صديقتها واطمأنت عليها أنها دخلت حجرتها، ثم ذهبت علياء لشقة ميار تضع أغراض ميار

هناك وتحضر لها بعض الملابس التي ترديها في المصحة.

عندما انتهت علياء من جمع الملابس والكتب لميار أعطت أم حامد مبلغ من المال كما أعطتها إجازة من عملها حتى تخرج ميار من المصحة، حزنت أم حامد على حال مخدومتها كثيرا، فهي ترى أن مخدومتها طيبة القلب وما يحدث لها لا تستحقه، فهي تستحق أن تعيش حياة سعيدة مليئة بالفرحة، لا حياة يملأها الألم واليأس.

ذهبت أم حامد لمنزلها أخيرا، بعد أن سيطر عليها تفكيرها في ميار وما يحدث لها طوال طريقها لمنزلها الكائن في المقطم. تعيش أم حامد في المقطم في منطقة تدعى الخزان وهي منطقة شعبية يعيش بها الأهالي الذين كانوا يعيشون في العشش في العشوائيات التي هدمتها الحكومة وأعطت الحكومة لهم هذه المساكن بديلا عن عششهم المهدمة.

لم تجد أم حامد مكان أفضل من ذلك نظرا لضيق ذات اليد، فعندما طردت من منزلها بعد وفاة زوجها ما كان معها من نقود لم يكف إلا لاستئجار شقة في هذا المكان.

كثيرا ما تشعر أم حامد بالحزن كلما تذكرت زوجها وما كان يفعله معهم وأنه كان يحميهم من غدرات الدهر ومشقة الأيام، تفتقده كثيرا وتفتقد أياما كانت تشعر فيها بالأمان ولم تذق فيها

طعاما لمرارة الزمان. بعد وفاة زوجها عرض عليها أخو زوجها الزواج منها ولكنها رفضت ذلك، لشعورها أن زوجها مازال موجودا بجوارها وأنها لا تريد أن يربي أولادها غيرها. بعد رفضها الزواج رفع أهل زوجها أيديهم من الانفاق على أولاد أخيهم وتركوهم بلا حول ولا قوة وقاموا بطردهم من الشقة قبل العيد الأضحى بيوم واحد وطلبوا من أم حامد تنظيف الشقة قبل أن يراها المشتري، شعورا من القهر شعرت به وهي مضطرة لترك مكان به ذكريات كثيرة مع زوجها ومكانا يبعدهم عن الشارع وغدراته.

اضطرت أم حامد للعمل في البيوت لكسب رزقها؛ فهي لا تملك الشهادات ولا المهارات الحرفية الأخرى، تحملت مشقة هذه الأعمال لتنفق على أولادها الذين تركهم زوجها أمانة في عنقها، كان ولدها في ذلك الوقت في السنة الثالثة من الثانوي العام وكان عمره سبعة عشرة عاما، وكانت بتول عمرها خمسة عشر عاما وبدور الصغيرة ثلاثة عشرة عاما. لم يشعر أولادها برحيل والدهم مثلها، فهم تعودوا على أن طلباتهم مجابة وأنهم يأكلون أفضل الأطعمة ولا تنقطع الفاكهة والحلوى عن منزلهم. ولكن أنَّى لوالدتهم الوفاء بذلك، لقد رحل عائلهم الذي لم يجعلهم

يوما يشعرون بألم الحاجة وذل السؤال. الآن لا تدخل اللحوم لمنزلهم سوى في الأعياد والفواكه والحلوى أصبحت من الماضي البعيد.

كانت تتوقع أن يساندها ولدها البكري في مصاريف المنزل وأن يعمل بجانب مذاكرته، ولكنه لم يفعل وها هو يعيد السنة الثالثة من الثانوي العام للمرة الثالثة، كلما وجدت له عمل تململ وترك العمل بعد يوم أو يومين أو ثلاثة أيام على أقصى تقدير، دائم طلب النقود منها، يشتري به لفائف التبغ ويجلس على المقهى مع أصدقائه، يتناول الحشيش، وكلما قالت له أنها لا تستطيع توفير احتياجاتهم اليومية والضرورية قال لها أنها ملزمة بذلك ولا شأن له فيما هي فيه.

يكاد ما تحصل عليه من العمل عند ميار يسد احتياجاتها الأساسية من مأكل ومشرب ولكنه لا يكفي الإيجار ومصروف الأولاد وثمن الدروس الخصوصية لأبنائها، فحامد ما يزال في الصف الثالث الثانوي وهكذا بتول أما بدور فهي الآن في السنة الأولى من الثانوي التجاري. تحاول العمل في يوم إجازتها من عملها لدى ميار ولكن أولادها استاءوا من ذلك لأنها لم تعد تجلس معهم. فهي تعود من عملها لدى ميار لتنظف المنزل

وغسل الأواني وغسل الملابس وتنهي أعمال المنزل ثم تخلد للنوم لتستطيع العمل في اليوم التالي، تكاد تنام أربع أو خمس ساعات في اليوم. تعلم أنه لا أحد يشعر بها وبمعاناتها ولكن أخيرا قررت بتول مساعدتها ونزلت لتعمل مساءاً في صيدلية قرب المنزل لكي تستطيع توفير نفقات دروسها، ولكن لضعف بتول الجسدي صرفها صاحب الصيدلية من العمل، وعادت أم حامد وحدها هي من تعول الجميع، أما بدور فتطلب ما تريد ولا تهتم بحالتهم المادية كل ما تفكر به هو نفسها وكفى.

قبل دخول ميار المصحة كانت أم حامد قد طلبت منها مبلغا من المال على أن ترده من راتبها الشهري لتصلح التلفاز حيث كسره حامد في نوبة من نوبات غضبه لعدم وجود المال الذي طلبه من والدته، تأكدت ميار أنه يتعاطى المخدرات وأنه طفل مدلل لم يعتد المسؤولية، اعتاد أن طلباته مجابة دون سؤال أو نقاش، لم يعتد بعد تحمل مسؤولية المنزل كأي شاب في مثل ظروفه.

أخبرها ولدها أنه منذ أيام قابل صديق لوالده لديه ورشة لتصنيع الحقائب النسائية وأنه سأله إن كان لديه عمل أم لا، فأجابه بالنفي فما كان من صديق والده إلا أن طلب منه العمل

معه في الورشة، كما أخبرها أنه وافق على ذلك، واستمر في عمله وفرحت والدته أنه أخير سيعمل ليساعدها على أعباء المنزل، إلا أنه لم يعطِ لها قرشا واحدا وظل يطلب منها النقود لينفق منها على مواصلاته ولفافات التبغ الخاصة به، رفضت أم حامد إعطائه أية نقود بعد عمله وانصاع هو أخيرا لذلك ولكنه أبى أن ينفق على المنزل، ولا تعلم حتى الآن فيما ينفق أجره من العمل خاصة عندما علمت أنه اقترض من صديق له ومن ضرتها مبالغ مالية، ولكنها بعد فترة علمت من صاحب الصيدلية التي كانت تعمل بها بتول أن حامدًا يشتري أقراص الترمادول المخدرة ونصحها بإقناعه الكف عن هذا المخدر حفاظا على حياته، وزادت الأحمال على أم حامد ما كان ينقصها بالفعل هو إدمان ولدها، ولم تعلم ماذا تفعل، فواجهت ولدها الذي أخبرها أن صديق والده هو من يشتري لهم هذه الأقراص كي يتمكنوا من العمل لساعات طويلة.

بعد دخول ميار المصحة، لم تعرف أم حامد متى ستخرج ميار وبالتالي متى ستقبض راتبها الشهري وهل سيكفيها هذا المبلغ الذي أعطته لها علياء؟ وعلى قدر حزنها على ميار اعتراها الحزن من أين ستنفق طوال هذه الفترة فذهبت لجارتها أم عنتر

- كيف حالك يا أم عنتر

- الحمد لله وانتِ كيف حالك

- الحمد لله، أريد أن أسألك طلبا؛ لو طلب منك أحدا شخصا للعمل أخبريني لأني احتاج العمل

- لماذا يا أم حامد فأنتِ تعملين لدى أستاذة ميار

- لقد سافرت في عمل لها ولا أدري متى تعود والمبلغ الذي أعطتني إياه قبل سفرها لا أعلم هل ستعود قبل أن ينفد أم لا وأنتِ تعرفين حالنا

- حاضر يا أم حامد إذا طلب مني أحدهم شخصا للعمل سوف أخبرك

استمر لقاء أم حامد مع جارتها طويلا حكت فيه كل واحدة للأخرى ضيق ذات اليد والمصروفات التي لا تنتهي وطلبات البيت المستمرة مع غلاء المعيشة ثم تركت ام حامد جارتها وذهبت لبيتها لترى ما عليها إنجازه، فبناتها لا يقومون بأعمال المنزل، فينتظرون والدتهم لأدائها وتتعلل كل واحدة منهما إما بالمذاكرة أو التعب، فتضطر هي للقيام بأعمال المنزل وحدها دون مساعدة، كما تتحمل أعباء المعيشة وحدها دون مساعدة، ودون تقدير للمشقة التي تلاقيها في العمل.

مضى على ميار في المصحة أسبوعين كاملين قضتهما في جلسات علاجية مع حمدي، تذكرت خلالها ميار كل ما مر بها من غدرات الزمن، سمح لها حمدي بالتدخين على ألا يزيد الحد اليومي لها عن علبة تبغ واحدة. في بداية جلسات العلاج كانت ميار متحفظة في كلامها ولكن ما كان يعتمل في صدرها أكثر بكثير مما يظهر على حالها ولاحظ حمدي ذلك

- كيف حالك اليوم

- الحمد لله، هل من الممكن أن أشغل لفافة تبغ ونحن نتحدث؟

- اه بالطبع تفضلي، ولكني أريدك أن تتحدثي معي أكثر عما تشعرين به فنحن أمضينا أسبوعين في المصحة وحتى الآن لم تتحدثي غير أشياء عامة أريدك أن تتحدثي عما يعتمل في صدرك عما يدور في خلدك أحتاج منك أن تتعاوني معي كي أستطيع أن أساعدك وتغادري المصحة سريعا

- يا ليت أخرج سريعا فأنا أشعر هنا بالاختناق

- وجودك هنا لمصلحتك حتى لا تحاولي الانتحار مرة أخرى، ولكي تخرجي سريعا لابد أن تتكلمي وتخرجي كل ما يعتمل في داخلك

- فيما تحب أن نتكلم
- أكثر شيء تفكري فيه
- لا يوجد شيء محدد
- طيب حدثيني عن طفولتك
- كما قلت لك سابقا أنا بنت وحيدة لأسرتي وعلى عكس المتوقع لست مدللة بل على العكس لم أرى من أسرتي أي نوع من الحنان لم أرى إلا كل قسوة، منذ أن وعيت على الدنيا وأنا تعيسة والدي ووالدتي قاسيين لأبعد مدى، لا أتذكر أني وجدهم يضحكون يوما، وأكثر ألم جربته كان ساعة الختان كنت ما زلت صغيرة وكما حكيت لك سابقا كانت تجربة مليئة بالألم الجسدي والنفسي مليئة بالقهر، ومن بعد تلك التجربة أصبح كل شيء عيبا وحراما ولا يصح. تحاملت ضدي الحياة، كنت أذهب إلى المدرسة مع والدي وكذلك العودة معه كنت الفتاة الوحيدة في المرحلة الإعدادية والثانوية التي يوصلها أهلها باستمرار، ممنوع حفلات المدرسة وممنوع الرحلات، ممنوع الضحك، ممنوع أن أعيش، كنت انتظر الدراسة كي أهرب منهم بالمدرسة، صحيح أنها ساعات قليلة ولكني كنت أهرب بها منهم. دخلت كلية الترجمة بعد محاولات مستميتة وحتى في الجامعة كان والدي

معه جدول المحاضرات وكان أحيان كثيرة يوصلني للجامعة ومن الجامعة للبيت، لم أعد أحزن من ذلك الموضوع، واستسلمت للأمر الواقع

- هل يعني ذلك أنك لم تحاولي التمرد على ذلك الوضع؟

- كيف أتمرد وأنَّ لي أن أتمرد، أنا أصبحت منطوية على نفسي أكثر، ليس لي أصحاب ليس لي أحد أتكلم معه، حتى زملائي في الجامعة كانوا فتيات فقط، لم اتعامل مع الأولاد

- أليس ذلك غريبا؟

- أبدا ليس غريب بالنسبة لي كما كان أهلي يقولوا إن الذكور لا يريدون من الأنثى سوى شيء واحد وطبعا بعد مروري بتجربة الختان أصبح الذكر بالنسبة لي عفريت أخاف منه

- والزواج؟

- أهلي هم من اختار لي عماد، بما انه ابن عمي وممنوع الزواج من خارج العائلة، المشكلة أنى لم أكن أريد أن أتزوج نهائيا، كيف أتزوج وأنا أعرف أن الزواج يعني علاقة حميمة معناه انتهاك آخر لي رفضت الزواج ورفضت عماد تحديدا ولكن تم الزواج رغما عني

- ألم يحاول زوجك أن يقربك منه؟

- عماد من اول يوم زواج استطاع أن يجعلني أكرهه وأكره معه كل الرجال، كنت أظن ان الانتهاك الذي حدث لي يوم الختان أفظع شيء ممكن أن اتعرض له، إلا أن عماد اثبت لي عكس ذلك، أتذكر في ذلك اليوم لم يحاول أو يفكر حتى أن يمهد لي أي شيء أو حتى أن يسمعني أو يشعر بدموعي وألمي لقد روجته كثيرا أن يتركني ولكن لا من مجيب، وكما أخبرتك سابقا بتفاصيل ذلك اليوم، إنه حتى الآن مازال أسوأ الكوابيس التي تراودني على الإطلاق.

- وبعد ذلك كيف تعاملتِ؟

- طوال فترة شهر العسل –كما يقولون –كان عماد يأخذني غصبا والنتيجة نزيف بعد كل مرة، وحمدت الله ان هذا الشهر قد انتهى، كنت أشعر أنى كيان ليس له احترام، لم أعد قادرة على النظر في عيون الخادمين الذين يعملون في منزلي وهم يسمعون صوتي الذي اعتاد عليه عماد ثم أصبح يكتمه بيده، تعرفت في عملي على زميلة جديدة جاءت للعمل في الشركة التي أعمل بها اسمها علياء، هي الوحيدة التي شعرت بي، شعرت أني في دنيا أخرى غير التي يعيشون بها واهتمت أن تتحدث معي، بدأت

احكي معها في البداية في كلام عام حتى أضحيت أتكلم معها في ضرب عماد لي وإهانتي في كل فرصة

- خلال هذه الفترة لم تراودك فكرة الانتحار؟

- أنا تقريبا لم أكن أفعل شيئا سوى أن انتحر، من قبل زواجي وأنا أحاول الانتحار وزاد ذلك بعد الزواج، حاولت الانتحار بشتى الطرق والوسائل بداية بأدوية والدي حتى تقطيع شرايين يدي وكنت أرتدي ملابس ذات أكمام لتغطية آثار الانتحار

- هل من الممكن أن أراها؟

- ها هي

شمرت ميار عن ساعديها فوجد حمدي آثار الانتحار على طول ذراعيها بداية من رسغها حتى مرفقها، شعر حمدي بالأسى تجاهها وأدرك كم المعاناة التي مرت بها

- بما تشعرين عندما تراودك الأفكار عن الانتحار؟

- لست أفهم؟

- أي فيما تفكري عنما تقدمين على الانتحار وما هو شعورك؟ هل تشعرين أنك تعاقبيهم أم تعاقبين نفسك؟

- أنا لا أعاقب أحدا، أنا أعاقب نفسي لأنني ولدت أنثى، إنها مشكلتي لذا أردت أن أتخلص من حياتي، من ذنب لا يد لي فيه، إلا أنهما يريان أنه ذنبي، أحاول أن أبعد عن الدنيا والناس، عن الغابة التي نحيا فيها، أعاقب ميار التي تركت عماد ومن قبله طبيبة ينتهكونها ولم تقدر على أن تحافظ على نفسها، أعاقب ميار على كل شخص نظر ليها نظرة اشتهاء أو غازلها بكلمة

- وما ذنب ميار فيما حدث

- ذنبها أنها صمتت ولم تقدر على أن تقاوم، ذنبها انها أنثى

- وما ذنبها في خلقها أنثى، إنها إرادة الله ليس لأحد يد فيها، وموضوع الختان لا يد لميار فيه، الذنب كله يقع على عاتق أسرتك ليس أنتِ نهائيا، كما أن علاقة الجماع مع عماد ليس ذنبا لأنه زوجك، هذه رغبة شرعها الله وأحلها بين الأزواج

- أمي كانت دائما تقول لي أني مشكلتهم، واني عارهم لأنني أنثى ولست ذكرا ولابد لي من الزواج حتى تنتقل مسئوليتي وعاري إلى زوجي، كنت دائما أسمع بكائها ليلا وصوت والدي ينهرها، أسمع صوتها وهي تصرخ، في البداية لم أكن أفهم لماذا تصرخ حتى كبرت وفهمت وعرفت أن هذا الموضوع عار وفضيحة وأنا لم أقدر على منع العار كما لم تقدر أمي أن تمنعه،

لم أقدر لأنني ضعيفة وكان المفترض أكون أقوى من ذلك

- من الذي قال لك ذلك؟

- صراخ أمي كل يوم، كلامها لي أن هذا الموضوع دائما عار وفضيحة لابد من اخفائها، وعندما كنت أسألها عن سبب صراخها كانت تتهرب مني حتى جاء يوم زواجي وعلمت سبب صراخها

- ألم يحدث حمل؟

- قبل زواجي ذهبت مباشرة بحثت عن عيادة أمراض نساء ومنعت الحمل، وضعت لي الطبيبة حقنة تحت الجلد كي تمنع الحمل لأنها رأت أنها الأنسب لحالتي. لم استطع أن أحمل وأجيء لهذه الدنيا بطفل قبل أن أطمئن مع زوجي، وبعد الزواج وطباع عماد التي لم يختلف عن والديّ قررت الاستمرار في منع الحمل لم أتصور أن يسمع طفلي صراخي كل يوم ويتحمل كرهي لوالده ولكل الرجال، لم استطع أن أجيء إلى الدنيا بطفل يتحكم فيه والده كما يتحكم فيّ، حتى الطعام كان عماد يتحكم فيه، ماذا نطهو كل يوم، سواء كنت أحب هذا الطعام أم لا، وممنوع طهو أصناف إضافية وحكم عليّ أن أطهو أنا الطعام يوم إجازتي من عملي، توصيل الطلبات ممنوع، طلبات البيت هو من

يقوم بشرائها وحده وهو من يقوم بتحديد هذه الطلبات ولست أنا، أنا في المنزل مجرد كرسي ليس له أي قيمة

- وما هو رد فعله عندما حاولتِ أن تنتحري؟

- انهال عليّ ضربا بعدما عدنا من المستشفى، وقال لي أنني لست أنثى مثل النساء وأنني باردة لا أشعر وأنني لم أقدر النعمة التي أحيا فيها

- وماذا فعل عندما تأخر الحمل؟

- كان هذا اليوم من أسوأ أيام حياتي، حيث ضربني ضربا مبرحا وتركني وطلقني وخرج، بعدها أتى والدي ووالدتي، اعتقدت انهما سيتحدثون معه بسبب ضربه لي ولكن ما حدث هو أن أكمل والدي ضربي وأخذني لعيادة طبيب النساء لإزالة وسيلة منع الحمل ثم عدنا لمنزل عماد واتصل به والدي وأخبره بنزع وسيلة منع الحمل وطلب منه ردي مرة أخرى لعصمته

- وماذا حدث بعد ذلك؟

- لا جديد ضرب واهانات مستمرة وحدث الحمل ولم أستطع أن أخبر به أحدا ولكني أجهضته ثم حدث الحمل الثاني وأيضا لم أخبر أحدا، وكذلك الحال مع الحمل الثالث حتى حدثت المشاجرة الأخيرة بيني وبين عماد فأخبرته أني حملت

ثلاث مرات وأجهضتهم لعدم احتمالي حياتي معه فضربني حتى دخلت المستشفى وحررت ضده محضرا بالواقعة وحبس ثلاثة أشهر ثم رفعت قضية طلاق للضرر وعندما علم بذلك طلقني وكانت هذه ثاني طلقة لي

- ولماذا تجهضين الحمل؟ ألم يكن ممكنا أن يتسبب ذلك الحمل في حسن معاملتهم معك؟

- لا فائدة منه، بعد الإجهاض كنت أشك في خيانة عماد لي، ثم تأكدت من ذلك، لقد خانني مع السكرتيرة واكتشفت ان علاقتهم معروفة في الشركة، من كم المكالمات التي تصلني من الموظفين وأيضا من السكرتيرة نفسها، واجهت عماد فلم ينكر وقال إني باردة كما لوح الثلج وأن المخدة لديها إحساس أكثر مني، وتشاجرنا في ذلك اليوم فواجهته بعدم حبي له أو لعشرته معي وكرهي الشديد ومقتي له؛ فضربني ثم غامت الدنيا في عيني ولم أفق سوى وأنا في المستشفى وحررت له محضرا كما أخبرتك من قبل. في تلك الفترة كان والدي قد توفاه الله فكانت فرصتي في الطلاق دون العودة مرة أخرى لعماد.

- وماذا عن أهلك ما رد فعلهم على رفعك قضية الطلاق؟

- حاولت والدتي إرغامي على الرجوع لعماد مرة أخرى

والتنازل عن قضية الطلاق ولكنها لم تكن بقوة والدي لذا صممت على إكمال إجراءات قضية الطرق أما عمي فقد قطع علاقته معي وتبرأ مني خاصة عندما أصررت على أن أعيش بمفردي بعد الطلاق، كما تبرأت مني والدتي هي الأخرى بعد زواجها من عمي بعد انتهاء فترة عدتها، لأني لست مثالا مشرفا في العائلة بل مصدر عار بالنسبة إليهم، ظنوا أن ذلك عقابا لي ولكنه كان بداية تحرري من القهر والألم الذي عايشته منذ وعيت على هذه الحياة، واستأجرت شقتي التي أقطن بها حاليا في المعادي، لقد تركت الجميع وراء ظهري ذكرى لا أحب أن أتذكرها، ذكرى ألم وقهر

- حسنا، ولماذا حاولتِ الانتحار مؤخرا خاصة أن الضغوط قد ذهبت؟

- لا أعرف، أحيانا أشعر أني مومسا كما وصموني بذلك، أشعر أني لست بشريفة مع كل نظرة اشتهاء لي في عين أي رجل، من نظرة خوف السيدات مني حتى لا أتزوج من أزواجهم أو أقيم معهم أي علاقة آثمة، من عروض الزنا التي عرضت عليّ بعد الطلاق، أشعر أني غلطة في هذه الدنيا، لا استحق الحياة.

- ولماذا لم تقنعت ميار أن ما حدث لها ليس بذنبها هي،

بل هو ذنب مجتمع متخلف وأهل أقل وصف لهم أنهم قاسين، لماذا لا تقنعي ميار أن نظرة الاشتهاء لها من أي رجل ليست ذنبها ولكنها ذنب حيوان لا يعرف كيف يحترم الأنثى؟

- لا أعرف، لم أعد أعرف من هو على صواب ومن هو على خطأ؟ تعبت كثيرا من كثرة التفكير تعبت حقا

- حسنا، كفانا حديث اليوم، وأراكِ غدا بإمر الله، سأجري بعد التغيير على العلاج لأني عرفت من التمريض هنا أنك لا تنامين تقريبا.

- فعلا لم أعرف طعما للنوم وكلما غفت عيني أرى كوابيسي فأصحو فزعة ولا أعد قادرة على النوم.

- حسنا، سأكتب لكِ على دواء آخر يساعدك على النوم، ورجاء حاولي التقليل من عدد لفافات التبغ اليومية.

شعرت ميار بمشاعر مختلطة بعد أن أنهت جلستها مع حمدي، بدأت تفكر فيما قاله، هل هي بالفعل على حق فيما فعلته؟ أم أن عائلتها هي المحقة وأنها عار لابد من التخلص منه؟ مشاعر مختلطة متباينة أدت بها لصداع لم تعد تحمله، طلبت من الممرضة أن تسأل الطبيب عن مسكن لذلك الصداع.

عدل حمدي في الأودية التي كتبها لميار لتناسب وضعها،

فهو يعلم أن الصداع نتج عن صراعها الداخلي مع نفسها وأنه سيشتد عليها، لذا آثر أن تمر تلك المرحلة وميار في حالة من النوم، وشدد على التمريض متابعتها حتى لا تقبل على الانتحار مرة أخرى.

كانت فكرة الانتحار هي الوسيلة الوحيدة لدى ميار لكي تخرج من صراعها الداخلي، حاولت الانتحار ولكن الرعاية المشددة من التمريض حالت دون ذلك، استمرت جلسات العلاج لميار بعد كشف كل ما يعتمل في صدرها لطبيبها المعالج لمدة شهر آخر، تغيرت بعده ميار وبدأت تفكر بعقلها، وتمحو كل أثر لشعورها بالذنب.

لم تفارقها علياء طيلة فترة بقائها في المصحة، كانت تزورها يوميا وتتابع مع حمدي حالة صديقتها، ورحب حمدي بذلك عندما علم أن علياء هي كل ما لدى ميار، تابع معها حالة ميار دون أن يطلعها على تفاصيل، كان يكتفي بالسماح لها بالزيارة وطلب عونها في التعامل مع ميار لكي تخرج من حالة الاستسلام التي تمر بها.

توطدت في تلك المرحلة علاقة حمدي مع ميار، فلم يعد الطبيب المعالج لها فقط وإنما أصبح الخيط الذي يربطها بذلك

العالم ويزيح عنها شعورها بالذنب لكونها أنثى ولقراراتها التي اتخذتها لصالح نفسها، وبدأت مشاعر مختلطة بين العرفان بالجميل وبين الحب تنبت في قلب ميار، حاولت وأد مشاعر الحب، إلا أنها طغت عليها ولم تكن تعرف هل يبادلها حمدي نفس شعورها؟ أم أنها مجرد حالة مرضية يعالجها مثل آلاف الحالات الأخرى؟ لم تجد إجابة شافية لها ولكنها حاولت مرارا وأد مشاعر الحب، التي تعني لها الزواج وهو العقدة الأزلية التي تعاني منها.

بدأت ميار بالتحفظ مرة أخرى في كلامها مع حمدي، وشعر هو بذلك التحفظ ولكنه لم يعرف سببه، فتكلم مع علياء علها تعرف السبب من صديقتها لكي يفهم سبب هذا التغير، ولكن ميار أخفت عنها حقيقة تغيرها المفاجئ ولم تصارحها بالسبب الحقيقي واختلقت أسباب وهمية.

لم تكن ميار وحدها التي داعبتها مشاعر الحب، لقد داعبت نفس المشاعر حمدي ولكنه حاول السيطرة عليها، فلا يجوز أن تجمعه علاقة حب مع مريض، هو يعلم أنها قد تحبه لارتباطها به بصفتها مريضة وتحكي له أدق خصوصياتها، يعلم أنها مرحلة تمر بها المريضة حتى تستطيع بعد ذلك التعافي والخروج من تلك

المشاعر التي تظن أنها حب ثم تصبح عرفانا بالجميل لا أكثر.

كتم حمدي مشاعره تجاه ميار، مشاعره التي طربت بميار لدى رؤيتها للمرة الأولى، لم يفكر حمدي قط أن أنثى قد تهز كيانه مرة أخرى بعد قصة حبه الفاشلة، لقد اعتقد أنه لن يستطيع أن يحب مرة أخرى، ولن تستطيع أي أنثى أن تجعل قلبه يرقص فرحا لدى رؤيتها، كانت معركته دامية، حبيبته أمامه وبدأ يشعر بارتياحها له، ولكنه غير قادر على البوح لها بما يعتمل في صدره، بل الأكثر من ذلك أنه يعلم أن هذه المشاعر تمنعه من علاجها، ولكنه أصر على اكمال علاجها، يريدها سليمة معافاة، يريدها حبيبة وزوجة ويخاف إن صارحها أن يخسرها للأبد.

شعرت علياء بعد زيارات عدة لميار بمشاعر حمدي تجاه ميار ولكنها لم تكن متأكدة من تلك المشاعر، خاف إن باح بمشاعره لعلياء أن تنقلها لميار وتخاف منه ميار، وتخاف أن يصبح هو الآخر عماد جديد، أن تخاف منه لأنه الآن يمثل لها الذكر الذي تحبه والذي سيفترسها إن علم حبها له. خاف حمدي من كل ذلك؛ لذا حاول قدر المستطاع أن يظهر لها اهتمامه بها بصفته طبيبها لا أكثر، وكانت ميار ترتاح لذلك وهو يشعر براحتها.

خرجت ميار من المصحة بعد مضي أكثر من شهر ونصف الشهر هناك، على وعد بإكمال جلسات علاجها لدى حمدي في عيادته. بدأ حمدي يركز مع ميار على ضرورة انفتاحها على العالم الخارجي وتفاعلها معه، ركز في علاجه معها على كون عماد وأسرتها نماذج قاسية لا تتكرر كثيرا في الواقع وبدأت ميار تتجاوب مع ذلك، ولكنها تعنف نفسها مرارا لمشاعر الحب التي طغت عليها، تعنف نفسها على مشاعر ربطتها بطيبها دون أن تدري متى وكيف، تخاف أن تصرح له بمشاعرها فيتحول لعماد آخر، وتخاف ألا يعرف هذه المشاعر فتزيد حالتها سوءا، كانت علياء بجانبها في تلك الفترة.

أسيوط..

في محافظة أسيوط حيث أهل علياء حدثت مشادات كثيرة بين عائلة علياء، عائلة الحج علي السمنودي وعائلة العمدة الحج فتحي البلتاجي، نشأت هذه المنازعات على إثر رغبة كل منهما الترشح للانتخابات في نفس الدائرة عن الحزب الذي ينتمون إليه، فكلاهما عضو في الحزب ذاته وأراد كل منهما أن يكون المرشح الوحيد للدائرة عن الحزب في نفس الفئة؛ حيث لم يحسم الحزب أيهما يرشح نفسه وأيهما يجب عليه الانسحاب.

قبل الانتخابات تطورت هذه المشاكل حتى وصلت لتدخل مأمور القسم، كل عائلة تدعي حقها في الفوز بالانتخابات بالتزكية دون أن ينافسها منافس، يحتج الحج فتحي البلتاجي حقة في ذلك لأنه عمدة البلد ولديه ولدين سيكون كبيرهما عمدة البلد، ويحتج الحج عليّ السمنودي بأحقيته في الانتخابات لأنه المرشح الدائم للحزب وأن هذه الدائرة الانتخابية حق له منذ انضم إلى الحزب، وأن العضوية لم تخرج من عائلته منذ فترة طويلة، وأن العمدة لم ينافسه أحد منهم في العمودية لأن العمودية في عائلتهم منذ فترة طويلة؛ وبالتالي لا يحق للعمدة المطالبة بالعضوية في المجلس.

أسفر تدخل المأمور عن قرار تزويج أبناء فتحي البلتاجي لبنات عليّ السمنودي، لم يُعجب عليّ السمنودي بقرار المأمور فهو يعلم أن ابنته مخطوبة لزميل لها في العمل وأن زواجهما سيكون بعد الانتخابات، إلا أن قرار المأمور كان نهائيا، خاصة بعد ترحيب فتحي البلتاجي بهذا القرار، الذي سيسفر بعد زواج ابنه البكري محمد من علياء الابنة الكبرى للحج السمنودي وزواج حبيبة الابنة الصغرى لعلي السمنودي بمحمود الابن الأصغر للحج فتحي البلتاجي، على أن تكون الانتخابات هذه المرة من نصيب السمنودي والمرة القادمة تكون الانتخابات من نصيب محمد البلتاجي، وتكون الانتخابات مرة لصالح عليّ السمنودي ومرة لصالح فتحي البلتاجي؛ فتكون دولا بينهما.

كانت علياء الابنة الكبرى لوالدها عليّ السمنودي، تعمل مرشدة سياحية في القاهرة، تركها والدها مع عمتها لتعمل في القاهرة، وكان والدها من كبرى عائلات الصعيد، وعضوا بمجلس الشعب، كان ميسور الحال، لم تذهب للصعيد منذ عملت في القاهرة وكان والداها واختها حبيبة يزورنها في القاهرة كل فترة، لم يعلق والدها يوما على ملابسها، ولا على ارتباطها بهيثم زميلها في العمل بل وبارك هذه العلاقة وتوجت بالخطبة

وكان والدها ينتظر ان ينجح في الانتخابات حتى يزوجها ممن ارتضاه قلبها، ولكن كان عليه الالتزام بحكم المأمور حتى تظل عضوية مجلس الشعب في عائلته، وكي لا يُعيّر بأنه لا يستطيع الحكم على بناته؛ لذا سافر إلى القاهرة لإقناع علياء بالزواج من ابن فتحي البلتاجي والمجيء بها لأسيوط.

في منزل عمة علياء بالقاهرة..

سافر السمنودي للقاهرة لا يعلم كيف سيقول لابنته أن تتخلى عن أحلامها وعملها لتعيش في الصعيد بل وتتزوج شخص لا تعلم عنه شيئا، وتترك خطيبها الذي تحبه، لم تكن مشكلة السمنودي في حبيبة بل كانت في علياء، فهو يحب كلتا ابتيه ولا يريد أن يكون سببا في تعاسة أي منهما. التقى السمنودي بأخته واراد أن تحضر لقائه مع علياء لتكون سندا له في إقناعها:

-السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، كيف حالك يا ام جمال وما هي أخبارك واخبار أبناءك؟

-الحمد لله يا حج جميعنا بخير، كيف حالك وما هي أخبار البلدة والانتخابات

-والله يا ام جمال الحال ليس جيدا على الإطلاق

-خيرا يا أخي ماذا حدث؟

-حدثت مشكلة كبيرة بيننا وبين عائلة البلتاجي لأنهم يريدون الترشح أمامي على الانتخابات فتصبح لهم العمودية وعضوية مجلس الشعب.

-يا الله، وماذا حدث بعد ذلك؟

-لقد تدخل المأمور وقال إن الحل هو زواج بناتي من أبناء البلتاجي، أعلم أن علياء خطبت لهيثم زميلها في العمل ولكن هذا قرار المأمور ولا رجعة فيه، وأريد منك محاولة إقناع علياء بالزواج من ابن البلتاجي

-كيف أقنعها يا حج؛ فأنا في الأصل لست مقتنعة؟

-لا أعلم يا ام جمال ولكن ليس أمامنا خيار آخر، نادي على علياء، هي هنا أليس كذلك؟

-لا لم تصل من عملها بعد، ولكنها شارفت على الوصول لقد هاتفتني وقالت إنها في الطريق.

-الحمد لله أنها في الطريق وستأتي سريعا، أكرمك الله يا ام جمال أريد منك أن تساعديني في إقناعها بالموافقة

-انت تعلم أنها مخطوبة وتحب خطيبها ولا يجوز الخطبة على خطبة، أعانك الله على إقناعها بهذه الزيجة الغريبة

أثناء حديثهما سمعا صوت علياء ترحب بوالدها بعد أن علمت من أم جاد الخادمة أن والدها هنا

-ها هي علياء قد وصلت، هلمِ يا علياء والدك هنا

-اهلا يا والدي كيف حالك؟

-الحمد لله يا بنيتي في أحسن حال، كيف حالك أنتِ؟

-الحمد لله في أحسن حال ما هي أخبارك وأخبار الانتخابات؟

-لقد جئت اليوم بسبب الانتخابات وما حدث في الدائرة الانتخابية

-خيرا يا والدي ماذا حدث؟

-لا أعرف يا بنيتي إن كان خيرا أم شرا

-خيرا يا والدي لقد أقلقتني

-لقد حدثت مشاجرات ومشادات بيننا وبين عائلة البلتاجي بسبب الانتخابات ووصلت المشاكل للحزب، وكما تعلمين أن كلينا عضوا في نفس الحزب وفي الحزب طلبوا منا اللجوء للمأمور لحل خلافاتنا وكان حكم المأمور هو تزويج بناتي من أبناء البلتاجي وتكون هذه الدورة من المجلس لي والدورة التالية لابن البلتاجي باعتباره زوج ابنتي وتظل هكذا بينا دورة لي ودورة له

-ولكنك يا والدي تعلم أني مخطوبة لهيثم زميلي في العمل وأن الزواج سيكون عقب الانتخابات

- هذا هو حكم المأمور وفي حال رفضت لن أترشح وتكون العضوية لصالح ابن البلتاجي الكبير ولن أترشح مرة أخرى مع الحزب، وانتِ تعلمين أن عضوية المجلس في عائلتنا منذ زمن طويل والعمودية في عائلة البلتاجي منذ زمن طويل، وكما تعلمين إنك في حال رفضك لن أستطيع رفع رأسي في البلدة حيث سيقولون إني لا كلمة لي على بناتي، هذا ما حدث يا بنيتي والقرار لك.

-لم أعد أعرف ماذا أقول يا والدي؛ فأنا أعرف أهمية عضوية المجلس بالنسبة لعائلتنا، كما أعلم أن رفضي يعني مشكلة كبيرة، ولكن هيثم وخطوبتنا لا أعلم ماذا أقول أو أفعل فأنا بين شقي الرحى

-بدون بكاء يا بنيتي، أنتِ تعلمين أني لا أحب أن أرى بكاء أي منكما، لقد وافقت أختك على الزيجة، ولكن لابد من زواج كلتيكما، والقرار يرجع إليك الآن؛ إما أن أرفع رأسي أمام الجميع أو ألا أستطيع رفع رأسي أمام الناس لأني لم أستطع الحكم عليك، بدون بكاء يا بنيتي

-لا أستطيع وقف دموعي ولكن أنا موافقة على ما تراه يا والدي، لن أستطيع أن أكون سببا في القيل والقال عنا، تكلم مع

هيثم وأنا موافقة على قرارك.

-هناك أمر آخر يا بنيتي، لابد أن تتركي عملك هنا في القاهرة وتعودي معي إلى قريتنا، لأن حكم المأمور أن يكون الزواج بعد شهر من الآن، ولا تخافي لن يستطيع أحدا إساءة معاملتك وأنا حي أرزق، فإذا أساء إليك أحدا لن أتركه ينجو بفعلته

-سأترك عملي وحياتي في القاهرة أيضا، من حقي أن أعرف من سأتزوجه ومستواه التعليمي

-لا تخافي يا علياء فحمدا زوجا جيدا تتمناه كل الفتيات، وقد أنهى تعليمه الجامعي في جامعة أسيوط، وهو القائم على أعمال العائلة في أسيوط وأيضا كثير السفر للقاهرة وأحيانا لبلاد الأجانب، وأخلاقه يشيد بها الجميع فهو رجلا بحق

-حسنا يا والدي، فقط أريد أسبوعا كي أنهي إجراءات ترك العمل وسأعود بعدها إلى القرية، أتسمح لي بذلك؟

-أتمنى لو أستطيع ولكن لابد أن تعودِ معي

-فلماذا لا تكلمهم في القرية وتخبرهم أنك ستعود بعد أسبوع من الآن؟

-لا أستطيع أن أنتظر أسبوعا كاملا، ولكن أمامك ثلاثة أيام

كي تنهي كل شيء لك في القاهرة، كما ستشترين ملابس غير تلك التي تلبسينها، لا يجوز أن تدخلي القرية بهذه الملابس

-حتى ملابسي يا والدي سيتحكمون بها! يا ويلي

-يا علياء لقد تركتِ قريتنا منذ وقت طويل، منذ أن كنتِ في المرحلة الإعدادية بعد سفر ابن عمتك للسعودية وأقمت مع عمتك ونسيتِ عادتنا وتقاليدنا في الصعيد

-حاضر يا والدي سأشتري ملابس أخرى وأفوض أمري إلى الله

-أكرمك الله يا بيتي، أدام الله عليكِ نعمة العقل

تركت علياء والدها وعمتها ودخلت حجرتها وهي تبكي على فقدانها كل شيء، حبيبها وعملها وحياتها في القاهرة. يجب عليها الدخول في عالم آخر لا تعلم عنه شيئا، لقد تركت الصعيد من زمن طويل، لا هي تتحدث لكنتهم ولا تعرف كيف تنطق بها، كيف تتخلى عن حياتها كلها مرة واحدة، ترتدي ملابس أخرى غير التي ترتديها لابد أن تكون ملابس طويلة بلا بنطالون أو تنانير، يجب أن ترتدي العباءات وكذا غطاء للرأس، لا يجب أن تدخل الصعيد بغير تلك الهيئة وإلا جلبت لوالدها العار في الصعيد، كما يجب عليها ترك أصدقائها في القاهرة؛ فلن يتقبل

أحد أن يكون لها صداقات مع الجنس الآخر.

ظلت علياء تبكي ولا تعرف كيف تتصرف لا يمكنها أن تُخلف كلمة لوالدها الذي قرر زواجها من ابن البلتاجي لكي تستمر عضويته في المجلس، العضوية التي جعلت لعائلتها مهابة وسط الصعيد منذ زمن بعيد، عضوية لم تخرج عن عائلتها منذ وعت على هذه الحياة، اتصلت بهيثم تحكي له عما حدث، لم يصدق هيثم ما سمعه توا من علياء، عن تخليها عن حبهما الذي استمر قرابة العامين، عن تخليها عن حلم زواجهما الذي كاد ان يتم بعد أشهر قليلة، كانت علياء تبكي وهي تبلغه قرارها بالموافقة على قرار والدها بزواجها من ابن البلتاجي؛ فهي تحب والدها وتخاف أن تسبب له العار وسط الصعيد الذي لا يعرف الحب ولا يفهمه، صعيد يجبر الفتاة على الزواج وترك العمل والتعليم ومنعها من الترشح لعضوية البرلمان فقط لكونها أنثى.

رغم ألمها وافقت والدها، مسحت دموعها واستجمعت شجاعتها وطلبت من عمتها مرافقتها حتى تشتري الملابس التي ستذهب بها للصعيد مع والدها. كما تحدثت مع ميار هاتفيا وأخبرتها أنها ستسافر مع والدها للصعيد وأنها ستترك العمل وكذا ستترك هيثم، لم تصدق ميار ما سمعته توا من علياء، علياء التي

نصحتها بالطلاق من عماد واجهاض نفسها لم تستطع الوقوف أمام قرار والدها وستتزوج رغما عنها؛ وذلك فقط لأنه قرار والدها عدم التخلي عن عضوية المجلس، نصحتها ميار بالتقديم على أجازه طويلة من العمل حتى ترى الحياة في الصعيد وهل ستعتاد عليها أم لا. وافقتها علياء على تلك الفكرة وطلبت منها تقديم أجازه سنوية لها حتى ترى ما سيحدث، خاصة أن الزواج سيتم خلال أيام قليلة، كان ذلك بعد خروج ميار من المصحة بأقل من أسبوع واحد.

في أسيوط..

سافرت علياء مع والدها في ملابسها الجديدة ودون وضع عطور، طوال الطريق للصعيد لم تستطع منع دموعها من الهطول أمطارا وشلالات اعتراضا على قرار من شخص لا تعرفه، على قرار غير حياتها بالكامل، رأى والدها دموعها التي تأبى إلا النزول على وجدنتيها، لم يستطع أن يواسيها فهو نفسه مكره على هذه الزيجة كي يستطيع رفع رأسه عاليا في بلدته، وكي يظل عضوا في البرلمان.

وعلى صعيد آخر في منزل البلتاجي كان هناك حديثا بين فتحي البلتاجي وولده الكبير محمد:

- كيف يا والدي سأتزوج من فتاة تربت في القاهرة ولا تعرف شيئا عن عاداتنا وتقاليدنا هنا في الصعيد، كما أنها تعمل مرشدة سياحية وتسافر وحدها دون رقيب عليها

- ماذا أفعل يا والدي إنه حكم المأمور ولابد من الانصياع له

- وماذا أفعل كي أطمئن أنها لازالت عفيفة طاهرة؟

- كما ترى يا محمد، ولكن تذكر أنك لو رفضت ذهبت منا عضوية المجلس نهائيا

- حسنا يا والدي سيكون المنديل هو الحل، لو هي بكرا سنتم الزيجة وتدخل العضوية عائلتنا وإذا لم تكن كذلك تصير لنا العضوية نهائيا ويتحمل السمنودي عار ابنته

- حسنا يا محمد كما ترى

- وسيحدث مع أختها نفس ما سيحدث مع زوجتك ويكون زفافك مع زفاف أخيك في نفس اليوم

ذهب البلتاجي لمأمور القسم مع السمنودي وأخبره أن المنديل سيكون هو الحكم في إتمام اتفاق الانتخابات، اضطر السمنودي مرة أخرى على الموافقة حيث أن البلتاجي لمح إلى الحرية التي تعيش بها علياء في مصر دون رقيب، واعتبر أن عمتها ليست كافية للرقابة على عفة علياء. لم يعلم السمنودي كيف سيقنع ابنته بذلك، فذهب إلى زوجته يقص عليها ما حدث ويطلب رأيها، فأقنعته بالموافقة على ذلك وطلبت منه إخفاء الأمر عن البنات، لتأكدها من عفة بناتها، وأنها ربتهم تربية حسنة.

محمد هو ولد البلتاجي البكري، تخرج في كلية الزراعة جامعة أسيوط ويرعى مصالح والده في أسيوط وخارجها، قمحي لون البشرة، أسود الشعر، طويل مفتول العضلات، ورغم الشدة التي تبدو في ملامحه إلا أنه طيب القلب، لا يستطيع أن يتسبب في

حزن أحدهم، ولكنه في ذات الوقت حازم وصارم مع الجميع، له مهابة في نفوس الجميع سواء في عمله أو في الدار. أما محمود فهو الابن الأصغر للبلتاجي، وهو في السنة النهائية في كلية الزراعة في جامعة القاهرة، حيث أراد التعلم خارج الصعيد ليستطيع أن يتنفس الصعداء بعيدا عن نفوذ والده وسطوته، قمحي لون البشرة له شعر أسود ناعم، تقسيمات وجهه توحي بطيبة قلبه، ليس حازما مثل أخيه، يحب زميلته في الكلية وأراد أن يتزوجها بعد التخرج.

عندما اتصل البلتاجي بمحمود ليخبره بضرورة حضوره وزواجه من ابنة السمنودي الصغرى، رفض بشدة إلا أن والده خيره بين إتمام تعليمه والزواج بمن يحب وبين تركه دون نقود وأن يعتمد على نفسه للإنفاق على زواجه وتعليمه. كان محمود مرفَّها منذ نعومة أظفاره كل طلباته مجابة، ينفق دون حساب ويحيا في القاهرة في حياة رغدة يحسده عليها زملاؤه في الدراسة. ولأنه لا يستطيع الاعتماد على نفسه وافق والده على أن يتزوج من يحبها على ابنة السمنودي عندما ينهي تعليمه الجامعي. وافق البلتاجي على ذلك وحضر محمود لكي يتم إجراءات الزواج على فتاة لا يعرفها ولم يسمع عنها قبل ذلك، ولا يعرف حتى

اسمها. احتج محمود على موضوع المنديل إلا أن والده أصر عليها نظرا لضرورة ذلك الموضوع لأخيه الذي سيتزوج من ابنة القاهرة التي لا رقيب عليها.

أما الابنة الصغرى فهي حبيبة، كانت في السنة الأولى في كلية الحقوق، واشترط والدها على البلتاجي أن تكمل ابنته تعليمها الجامعي وهي في منزل زوجها ووافق البلتاجي على ذلك، لم تعرف حبيبة معنى الحب من قبل ولم يكن في مخيلتها أن تتزوج في ذلك الوقت، كانت ترى في علياء قدوتها، كانت تريد أن تتخرج وتستقر هي الأخرى مع أختها في القاهرة وتعمل هناك محامية في أحد المكاتب الكبرى، حتى تحقق ذاتها، ولكنها لم تستطع الاعتراض على قرار والدها، خاصة بعد أن طمأنها أنها ستكمل تعليمها بعد زواجها، ولكن ما كان يقلقها حقا أنها ستعيش في منزل عائلة البلتاجي ومعها حماتها وأختها، خافت من حماتها التي يقول عنها الجميع أنها شديدة في التعامل مع الجميع، الكل يهابها حتى أبنائها وكلمتها يرضخ لها الجميع.

مر الشهر وانتهت تجهيزات الزفاف تماما، لم تختر علياء أي شيء في تجهيزات الزفاف تركت والدتها تختار كل شيء، حتى ملابسها اختارتها لها والدتها، خلال الشهر كان هناك تعامل بين

علياء وحبيبة وحماتهما، وجداها كما يشاع عنها سيدة شديدة العزم وصارمة كلمتها سيف على رقبة الجميع، كانت تلك مشكلة في حياة علياء؛ فهي لم تعتد مثل تلك المعاملة، كما أنها لا تعرف كيف سيعاملها زوجها.

في يوم الزفاف فوجئت علياء بموضوع المنديل

-ما اسمك؟

-أتزوجتني ولا تعرف اسمي؟

-لقد قاله لي والدك أثناء عقد القران ولكني نسيته

-اسمي علياء

-هيا يا عروسة ماذا تنتظرين الجميع ينتظر المنديل

-منديل؟! لا أفهم شيئا مما تقول

-لماذا؟ ألم تخبرك والدتك عن المنديل؟

-لا، لم يقل لي أحدا شيئا

لم يترك لها محمد فرصة الكلام وانقض عليها كما ينقض الأسد على فريسته، فصرخت عاليا غطى على صوت صرخاتها طلقات الأعيرة النارية وزغاريط النساء، انتهى منها محمد وخرج في شرفة الغرفة يلوح لهم بالمنديل بعد أن تلوث بدماء العروس،

غابت علياء عن الوعي بعدما انتهى منها محمد وهو لم يهتم لذلك، كان يشعر بالفخر بعد أن تأكد من عفة زوجته بنفسه وزف البشرى لوالد عروسه بعفة ابنته التي عاشت خارج الصعيد.

لم تكن حبيبة اسعد حالا، فكما انقض محمد على علياء، فعل محمود ذات الشيء مع حبيبة، الفرق الوحيد كان في مقاومة علياء لمحمد أما حبيبة فسلمت أمرها كله لله فهي تعلم أنها الآن لابد أن تسلم نفسها لزوجها حتى وإن كانت لا تحبه، وأطلقت الأعيرة النارية وهنأ البلتاجي السمنودي بالانتخابات والفوز بعضوية البرلمان.

كان الفرح بعضوية البرلمان يغطي على حزنه على اجبار بناته على الزواج من أبناء البلتاجي، إلا أنه مازال عند وعده بحماية بناته من أي سوء معاملة لهما من زوجيهما أو من حماتيهما.

عندما أفاقت علياء من إغمائها وجدت محمد يشعل لفافات التبغ أمامها، لم تستطع أن تمنع نفسها من كرهه، فهو لم يترك لها أية فرصة للتقرب منه بما فعله معها من أول لحظات تجمعهما معا، قارنت في عقلها بينه وبين هيثم، وكم كان هيثم رومانسيا رحيما بها، يتغزل في جمالها برقة تعشقها، ولكنها أفاقت على

حقيقة زواجها من محمد وضرورة التعود عليه وعلى تعامله الغليظ معها.

عندما وجدها أفاقت لان قلبه لها، ولكنه كما أخبرته والدته لابد أن يكون شديدا قاسيا مع زوجته حتى تعتاد سماع كلامه والحياة في الصعيد حتى لا تجلب له العار.

-كيف حالك يا عروسة

-الحمد لله، أحقا تهتم لأمري؟! ألم تأخذ مني ما تريد

-أنا زوجك وما حدث هو حقي الشرعي منك

-هل من الممكن ألا نتحدث في هذا الموضوع أين الحمام، أريد أن أغتسل؟

-ولماذا الآن؟ مازال الوقت مبكرا

-أريد أن أغتسل فأنا لا أطيق نفسي

-وأنا أخبرتك ليس الآن

ولم يتركها محمد حتى انقض عليها مرة أخرى، وقاومته كما فعلت المرة السابقة ولكنه وضع يده على فمها هذه المرة وتوعدها بالضرب إن أصدرت أي صوت ولكنها لم تستجب له، فصعها على وجهها بيده الأخرى، ومازال يكمم فمها حتى لا

تصدر أي صوت. أما حبيبة فكانت تعرف أنه زوجها ولابد أن تتحمل في صمت حتى لا يساء فهمها في هذا البيت، تتألم في صمت، خاصة بعد أن قال لهما محمود أنه سيتزوج عليها أخرى بعد تخرجه مباشرة، وكان ذلك عقب جماعه بها، نزلت الدموع من عينها على حظها العاثر الذي جعلها تتزوج ممن لا تحبه ولا يحبها، بل من طعنها بسكين غير حاد يوم زفافها، لقد كانت تعتقد كما قالت لها والدتها أن الحب يأتي بالعشرة بعد الزواج، فوجدت المفاجأة الكبرى أن زوجها يحب أخرى وسيتزوجها ويأتي بها للعيش في نفس الدار.

عندما انتهى محمد من علياء للمرة الثالثة، كان الزوار قد جاءوا للمباركة للعروسين، تركها محمد وذهب ليغتسل حتى يصلي ثم يقابل ضيوفه، وظلت هي عاكفة في مكانها لا تتحرك، ولا تعرف كيف تتصرف مع شخص همجي لهذه الدرجة، تشعر أنه يعاقبها على زواجها منه، وتصمت لعلمها أن ذلك لمصلحة عائلتها، بكت عندما تأكدت أنها وحدها في الغرفة ولا يراها أو يسمعها أحد، وصعدت لها والدتها لغرفتها التي تقع في الدور العلوي من دار البلتاجي، حيث الدور الأول للبلتاجي وزوجته والدول الثاني لمحمد وزوجته والدور الثالث لمحمود وزجته،

والدور الأرضي لاستقبال الضيوف وتحضير الطعام، وجدت الحاجة علية والدة علياء ابنتها في حال يرثى لها فصبرتها على ما هي فيه، على وعد منها أن يتغير زوجها بعد أن يعتاد كل منهما على الآخر، وأثناء حديثهما وجدا الحاجة نحمدو، والدة محمد، على رأسيهما تستمع لهما، فرحبت بها الحاجة علية وطلبت منها مشاركتها في حديثهما، فما كان منها إلا أن قالت لوالدة علياء "أهلا بكِ يا حاجة، لقد شرفتنا بالزيارة ألم تذهبي لحبيبة للاطمئنان عليها هي الأخرى لنترك الأزواج على راحتيهما ليفرحا". فهمت علية أن نحمدو تطردها من غرفة علياء ولا تريد لهما الاستمرار في الحديث، فذهبت لحبيبة التي وجدتها تبكي وحكت لوالدتها حديث محمود عن الزوجة الثانية، لم تتمالك علية نفسها من الزيجات التي تورطت فيها ابنتاها، وشعرت أن البلتاجي وولداه ينتقمان من ابنتيها.

ذهبت علية لبيتها وقصت على زوجها ما حدث، فذهب على الفور للبلتاجي يعاتبه على ما حدث مع حبيبة، فوجد البلتاجي غير مبالي ويقول له أن الرجل حقه أن يتزوج مثنى وثلاث ورباع. فتركه السمنودي وذهب للمأمور يحكي له ما حدث مع حبيبة فوعده المأمور بحل تلك المشكلة مع البلتاجي،

وبالفعل أرسل في طلب البلتاجي ومنعه من تزويج ابنه محمود بأخرى على حبيبة وإلا لن تنتقل عضوية البرلمان لولده كما تم الاتفاق، لأن الهدف من هذا الاتفاق الوصل بين العائلين لا تأجيج نار المشاكل بينهما مرة أخرى بينهما.

وافق البلتاجي على كلام المأمور لإتمام الاتفاق لعضوية البرلمان لما له من أهمية لعائلته، وأجبر محمود على عدم الزواج من أخرى على حبيبة. فأساء محمود معاملة حبيبة لأنها منعته من الزواج بمن يحب ولكنها استسلمت ولم تخبر أحدا عن سوء المعاملة التي تتلقاها من محمود ومن والدته هي الأخرى، إلا أن نحمدو بعد أن اطمأنت من أنها سيدة الدار وذات الكلمة الأولى والأخيرة فيه، وأن كلمتها نافذة على حبيبة، بدأت تحسن من معاملة حبيبة خاصة أنها هادئة لا تشتكي ولا تعترض على أي أمر.

أما علياء فكانت تشتكي من محمد وسوء معاملته لها هو نحمدو، ولم تهدأ علياء حتى تركت دار البلتاجي بعد مرور أقل شهر على زواجها، وذهبت لدار والدها دون إذن أحد، فكانت تلك مشكلة كبيرة بين البلتاجي والسمنودي، لم يستطع السمنودي ترك ابنته لدى شخص يسيء لها ويجعل والدته تسيء

لها، ورغم خوفه على حبيبة إلا أن عدم شكواها لأحد جعل والديها يشعران أنها بخير. لم تَعُد علياء لدار زوجها مرة أخرى، وذهب والدها للمأمور موضحا سوء المعاملة التي تتلقاها علياء في بيت زوجها وأنها كانت في دار أبيها مرحبا بها وطلباتها مجابة. فكان حكم المأمور أن تظل علياء في بيت والدها ولكن تظل في الوقت نفسه في عصمة زوجها، ولا تعود له حتى يتعهد بحسن عشرتها وتعامل حماتها معها المعاملة التي تليق بها.

وبالفعل تحدث المأمور مع البلتاجي عن سوء المعاملة التي تحظى بها علياء فما كان منه إلا أن أصر أن هذه هي طباع المعاملة في الصعيد وأنها ليست في القاهرة تفعل كما يحلو لها.

مرت الأشهر والوضع كما هو زاد عليه أن علمت علياء بحملها بعد مرور ثلاثة أسابيع من ترك بيت زوجها ثم تبع حملها بشهرين حمل حبيبة، رجت والدها ألا يخبر أحدا بحملها حتى لا تجبر على العودة لذلك الدار مرة أخرى.

بعد حمل حبيبة تغيرت معاملة محمود معها، بمجرد أن شعر أنه سيصبح أبا، تحسنت معاملته لها قليلا ولكنه أوكل والدته في السماح لها أو منعها مما تريد حسب ما تجده، خاصة لسفره للقاهرة لإتمام تعليمه، كما أجبرها على ترك الدراسة حتى

تتفرغ لحملها ولم تعترض، كانت مستسلمة لأبعد الحدود.

وكعادة الحمل لا يمكن أن يختبئ، عندما علمت حبيبة بحمل أختها أخبرت زوجها الذي أخبر والده وأخيه بحمل علياء، شعر محمد بمشاعر مختلطة تجاه علياء بعد أن علم بحملها، لم يعرف إن كانت حبا أم أنها مشاعر الأبوة التي تلوح له في الأفق، ولكن بُعد علياء عنه جعله يوقن تمام اليقين أنه أحب علياء، ولكنه لا يعرف لماذا يسئ معاملتها، هل ذلك لكي يثبت لنفسه أنها عنيدة وتريد الحياة كما كانت حياتها في المدينة، ولكنه يأبى ذلك، يريدها أن تعتاد على حياة الصعيد، فقرر تركها على هذا الحال مع منع أختها من زيارتها، وأن يأتي والد حبيبة ووالدتها لزيارتها كما يحلو لهما ولكن لا تذهب حبيبة لدار والدها حتى لا تراها علياء. كان ذلك القرار صعبا للغاية على حبيبة ولكنها اعتادت عدم الاعتراض على قرارات حماتها وعائلة زوجها فأذعنت لذلك.

في تلك الأثناء كانت علياء تتحدث يوميا مع ميار تخبرها ما هي فيه وتشكي حالها، هي التي اعتادت أن طلباتها أوامر وأنها مناط تدليل العائلة، اليوم يساء إليها ولا أحد يكترث،

- أتتخيلي يا ميار مدى الهمجية التي يتعامل بها محمدا،

لقد صفعني لأني لا أريده أن يقترب مني

- احمدي الله أنه صفعك فقط، أنسيتي ما كان يفعله عماد بي، لقد رأيتِ ما حدث بيننا

- ولكن هيثم لم يكن كذلك، لقد كان رقيق القلب، أشتاق إلى كلماته

- يجب أن تنسِ هيثم يا علياء، فهيثم لا يستحق لحظة واحدة في التفكير به

- لماذا؟ ماذا حدث؟

- لقد تزوج هيثم من ميادة ابنة حسن عاشور

- حسن عاشور رجل الاعمال؟

- نعم هو، تزوجها بعد شهر من سفرك تقريبا، ووالدها هو الآخر عضو في مجلس الشعب

- يا له من نذل خسيس، هذا يعني أن كل كلمات الحب والغزل كانت بسبب عائلتي ولم يكن يحبني فعلا

- فعلا يا علياء، هذا ما حدث، حاولي إصلاح العلاقة مع زوجك أو اصبري حتى انتهاء الانتخابات إنها مجرد أيام حتى تنتهي هذه المأساة

- كيف أستريح يا ميار وأنا حامل، كما قاموا بمنعي من رؤية حبيبة، ومنعوها من المجيء عندنا وتذهب لها والدتي لرؤيتها، وهي حامل هي الأخرى ولا أدري عنها شيئا غير ما تحكيه والدتي

- لا عليك يا علياء إن شاء الله الآتي خيرا، يمكن أن يكون حملك سببا في تغييرهم

- كل ما يهتمون به هو الانتخابات وباقٍ لها شهرا وتنتهي، ولكن تكمن المشكلة في رفض عائلتي وعائلة محمد الطلاق، وأخاف أن يأخذوا مني ولدي بعدما أضعه ويمنعوني من رؤيته، لذا أفكر في إجهاضه

- كفاك بكاءً يا علياء ان شاء تتحسن الأحوال جميعها، وإنسي فكرة الإجهاض عسى أن يكون طفلك سببا في حل مشاكلك مع زوجك وعائلته

- لا عليك مني الآن، ما هي أخبارك؟

- الحمد لله بخير، لازلت منتظمة على العلاج وزيارات الطبيب، يقول لي حمدي أننا قاربنا من مرحلة الشفاء

- شفاك الله ورزقك الزوج الصالح

- عما تتحدثين زوج صالح؟! أيمكن أن أتزوج ثانية؟! كفاني عماد وما حدث منه، متى ستنتهي إجازتك يا علياء

- لا يا ميار لن أعود للعمل، غير مسموح لي، قدمي لي طلب استقالة واطلبي منهم شهادة خبرة، لا أحد يعلم ما تخبئه الأيام القادمة

- حسنا سأقدم لكِ طلب استقالة وإذا استطعت زيارتك سأفعل

- أيا ليت تأتين كي تخففي عني ما أنا فيه

مرت الأيام وانتهت الانتخابات وفاز السمنودي كما هو متفق عليه، وفرح البلتاجي بقرب حصول ابنه على عضوية المجلس

- مبارك عليك الانتخابات القادمة يا محمد إنها دورك

- بارك الله فيك يا والدي، ولكن كيف سأترشح المرة القادمة وزوجتي غاضبة في دار والدها

- كما تريد يا ولدي إذا أردت إحضارها للدار

- وهل قمت بطردها، تأتي كما رحلت

- حسنا، سأتحدث مع حميك وأرى ما هي نيتهم، فهي

مازالت زوجتك وتحمل طفلك في أحشائها

- آه يا والدي لا أدري ماذا سيحدث إذا ظلت غاضبة حتى الولادة، ماذا سيحدث لولدي

- لا عليك يا ولدي، سيدبرها الله بإذنه

بالفعل تحدث البلتاجي مع السمنودي حول عودة علياء إلا أن السمنودي اشترط مجيء محمد لكي يأخذها على دارها ويعتذر منه على سوء معاملة ابنته. رغم شوق محمد لزوجته إلا أنه أبى أن يذهب لاسترضاء والدها، وتركها معلقة على هذا الحال.

مرت الشهور وداهم حبيبة المخاض بعد مرور سبعة أشهر فقط على حملها، اضطرت علياء أن تذهب لأختها في المستشفى مع والديها لكي تطمئن عليها، وكانت في شهرها التاسع من الحمل، وكان والدي محمود وأخيه محمد هناك، بمجرد أن رأتها نحمدو طردتها ولكن علياء احتمت بوالدها الذي وجه كلامه للبلتاجي مباشرة

-أيجوز ذلك يا حج؟ منذ متى والنساء تتحدث في وجود الرجال؟

-لك حق عليّ، اصمتي يا امرأة ولا أسمع لكِ صوتا، لقد

أتت لزيارة أختها والاطمئنان عليها

-ولكن هذه السيدة لم تعرف التربية لها طريقا

-أيعجبك ذلك الكلام يا حج فتحي؟ أيجوز اللغط في الكلام من النساء في حضرة الرجال؟

- لا أعرف ماذا أقول لك يا حج سمنودي، سامحني على ما حدث

هنا تدخل محمد ووجه الكلام لوالدته

-توقفي يا والدتي فمن تتحدثين عنها هي زوجتي والخطأ في حقها هو خطأ في حقي

-اجلسي يا عليا

احتمت علياء بوالدها وطمأنتها كلمات زوجها، لقد غير نظرتها له عندما دافع عنها لأول مرة أمام والدته التي اعتادت إهانتها مرارا دون اعتراض منه، كانت تهينها لأنها ابنة المدينة التي لابد أن تنصاع لعادات الصعيد وأهله. نظر محمد لعلياء خلسة ووجد على وجهها بعض الألم ولكنه لم يفهم سبب هذا الألم البادي عليها، يشعر باشتياق لها، لا يعلم متى أحبها ولا كيف حدث ذلك، ولكن الحب كما يعرف محمد يقلل من قدر الرجل،

أراد أن يكون تجمعهم في ولادة حبيبة سببا في عودة علياء لداره مرة أخرى، ولكن عندما احتمت علياء بوالدها شعر بغصة؛ فكيف لا تحتمي به زوجته وتحتمي بوالدها عوضا عنه، فبدأ الحديث مع علي السمنودي

- ألا يجب أن تعود علياء لدار زوجها وكفانا بُعدا؟

- يا محمد انت تعلم أنها تركت الدار لسوء معاملتها هناك

- أعدك يا حج لن يضايقها أو يزعجها أحد بعد الآن، أريد أن يولد ولدي في دار والده

- ء أعتبر ذلك وعد يا محمد، إن المعاملة السيئة لن تحدث مرة أخرى؟

- أعدك يا حج

وفي أثناء الحديث خرجت الممرضة تخبرهم أن حبيبة وضعت ذكرا، فرح الجميع بالخبر وفي خضم هذه الفرحة لم تستطع علياء كتم ألمها أكثر من ذلك؛ فصرخت مما جعل الجميع يركز معها، خرج محمد خارج غرفة حبيبة وسأل عن طبيب ليرى حالة علياء، فوجئ الجميع بمخاض علياء ولكن الطبيب أخبرهم أن الولادة متعثرة ولابد من إجراء حراجة قيصرية، وبالفعل تمت الجراحة وولدت علياء هي الأخرى

ذكرين.

عمت الفرحة الجميع بولادة ثلاثة ذكور في ذات اليوم، وأخيرا كسا وجه نحمدو الفرحة وهي تبارك لولديها على ثلاثة ذكور مرة واحدة، كانت الفرحة عارمة وخرجت علياء على دار زوجها، ولأول مرة يتحدثان بعيدا عن الشجار

-حمدا لله على سلامتك ورجوعك لدارك

-أحقا ذلك، أم أنك تهزأ بي

-ولماذا أهزأ بك يا امرأة؟

-اسمي هو علياء للعلم وليس امرأة

-اعتادي على امرأة

-اسمي علياء وهو سهل على فكرة، يمكنك مناداتي علياء

-يا علياء، نحن نقول في الصعيد على النساء امرأة، ولا يصح مناداة النساء بأسمائهم، لن أقول امرأة ولكن سأدعوكِ أم فتحي

-حسنا ولكن أريد أن نتفق على شيء، أنا زوجتك وأعي ذلك جيدا، ولكن أحتاج منك أن تشعرني باهتمامك بي، تشعرني أني زوجتك وأنك تهتم لحالي، أريد أن أشعر بالحنان، لقد شعرت بحنانك واهتمامك ونحن في المستشفى عندما منعت

والدتك عن الإساءة لي، أيمكن أن تحسن معاملتي وعشرتي؟

-كيف ذلك؟

-أن تناديني بأم فتحي شيء جيد، ولكن أريد الشعور بتلك المشاعر من الحب والرقة والحنان والاهتمام مثل ما حدث في المستشفى وأنا أجلس بجانب والدي

-اسمعي جيدا يا علياء، يجوز أنك لا تعلمين شيئا عن عادات الصعيد وتقاليده ولكن لابد أن تعلميها وتتعلميها

-ما هذا إنك تتكلم بلكنة قاهرية، فلماذا تتحدث باللكنة الصعيدية منذ عرفتك؟

-أنا كثير السفر داخل مصر وخارجها، كما أنني أقابل الكثير من الناس فيجب أن أتحدث بلكنتهم ولغتهم، ولكن لأننا في الصعيد لابد أن أتحدث بلكنتهم

-هل من الممكن أن تتحدث القاهرية ونحن وحدنا على الأقل

-لكِ هذا، لنعود مرة أخرى لحديثنا، اسمعي جيدا يا علياء نحن هنا في الصعيد نهتم بالأفعال لا الأقوال مما يعني أن كلام الحب والغرام الذي تشاهديه في الأفلام لن تريه هنا، ولكن نحن

نفعل ومثال ذلك عندما منعت أمي من الإساءة إليكِ في المستشفى ولهثت بحثا عن طبيب عندما داهمتك آلام المخاض، ولكن أحبك ومثل هذا الكلام الذي لا طعم له لن تجديه هنا ليس من طباعنا

-هل لي بطلب؟

-ما هو؟

-أيمكن أن أسافر معك لأي مكان لكي ننسى ما حدث ونتعرف أكثر على بعضنا البعض، أنت تعلم أن الزواج تم بسرعة دون أن نتعرف على طباع بعضنا، ولا لم نكن حتى نعرف أسماء بعضنا، وأنا الآن زوجتك ووالدة ولديك فتحي وعليّ، أنا بالفعل أحتاج للسفر، خاصة القاهرة للذهاب للشركة التي كنت أعمل بها وأحصل على مستحقاتي منهم، أرجوك لا ترفض.

-أوافق وانظري أي مكان تفضلين ولكن بعد أن تنهي فترة النفاس ولي شرط واحد

-تفضل

-أن تطيعي والدتي وما تقوله يطاع وإذا لم يعجبك أخبريني وأنا سأتصرف

-حاضر يا محمد

-قولي أبو فتحي أفضل

-حاضر يا أبا فتحي

-أتعلمي شيئا، لقد شعرت بالضيق عندما احتميتِ بوالدك في المستشفى ولم تحتمِ بي، كيف أكون زوجك وأنا لست مصدر الحماية لكِ، شعرت بكسرة في نفسي لأنك احتجتِ الحماية من شخص آخر حتى لو كان والدك

-لقد احتميت به وليس بك لمعاملتك ومعاملة والدتك القاسية معي وعدم اعتراضك على ذلك، وخاصة تعاملك معي في أول يوم من زواجنا، شعرت بأني فريسة في يد صياد، اعتراضي ليس لأنه ليس حقك ولكن اعتراضي أنك لم تعطني فرصة كي أعرفك، كان يمكن أن يتم ذلك بالتفاهم والرحمة، فأنا لم أعرف عنك شيئا، وأنت لا تعلم عني شيئا سوى عملي في القاهرة وتربيتي هناك، كنت في حاجة للتعرف عليك، أن أشعر أني إنسانة ولست مجرد وعاء لتفريغ شهوة

-ما هذه الكلمات العميقة، هذا طبعنا في الصعيد، وكان لابد لي من ذلك لانتظار الجميع للمنديل للاحتفال بعفتك وشرف والدك

-ولماذا المنديل من الأساس، طالما رضيت أن تتزوج بي وأنت تعرف منذ البداية أني أقطن مع عمتي في القاهرة وأعمل مرشدة سياحية، لماذا لم ترفض الزواج بي من البداية؟

-لم أكن أستطيع الرفض كما هو الحال معك، وكنت أريد أن أطمئن على عفة زوجتي حتى لا تحدث مشاكل بين العائلتين

-وهل تعتقد أن العفة تكمن في المنديل؟

-بالطبع

-من الواضح أنك تفكر بعقلية عفا عليها الزمن، فلو كنت سيئة السلوك كنت سأخاف من الزواج خاصة في الصعيد للحفاظ على سمعة والدي، وأنا قد أحسن والدي وعمتي تربيتي وأعرف جيدا الصواب من الخطأ

-ولكنك لا تعرفي كيفية الصلاة، وحتى حجابك ليس بحجاب

-في الأصل أنا غير محجبة، ولكني وضعت غطاء الرأس لأني في الصعيد كما ارتديت العباءة ولكن ذلك ليس كما تعودت أن ألبس

-لا لابد من ارتدائك للحجاب وأن تكوني محجبة فعليا كما

يجب أن تصلي، لأنك أم أولادي وأريد أن يتعلم الأولاد الحلال من الحرام والصواب من الخطأ وأنتِ من ستتولى هذه المسألة؛ لذا يجب أن تقتنعي بارتداء الحجاب وأن تصلي

-هل اعتبر ذلك أمرا؟

-في هذه المسألة اعتبريه كذلك، كفاك آثاما بعدم ارتداء الحجاب والصلاة، ومن فضلك لا أريد أن يعلم أحد أننا سنسافر بعد إتمامك فترة النفاس، هل اتفقنا؟

-نعم اتفقنا، ولكن أريد الشعور بتلك المشاعر الطيبة التي شعرت بها في المستشفى وتلك المعاملة التي تظهر حبك واهتمامك وحنانك على الأقل ونحن وحدنا هل ذلك ممكن؟

-لقد كثرت طلباتك يا علياء، أعدك سأحاول ولكن لابد لك من طاعة والدتي كما تفعل أختك، لقد كسبت حب أمي وأنتِ حتى الآن لم تستطيعي، يفترض بك بطبيعة عملك التعامل مع كل أطياف البشر أريني ذلك مع والدتي

-حسنا، سأحاول

-سأتركك الآن وأنزل لوالدي أرى كيف حاله، سوف يأتي والدك ووالدتك اليوم للاطمئنان عليكِ يا ليت يطمئنا

-لا تخف سأطمئنهما

-أتري تصبحين جميلة حين تقولين حاضر

ضحكت علياء بعد خروج محمد، لأول مرة تسمع كلمة طيبة من زوجها بعد مرور تسعة أشهر، ذاقت خلالها سوء المعاملة والجفاء خاصة بعد أن تركت له الدار وذهبت لوالدها. فرحت لأنها صارحته بكل ما يعتمل في صدرها، بكل شيء أرادت أن تقوله منذ اليوم الأول لزواجهما، وجدت أن ميار كانت على حق عندما قالت لها أن حملها سيغير كل شيء وأنها منعتها أيضا من إجهاض نفسها، تمنت لو أنها لم تقنع ميار بالإجهاض حيث كان من الممكن أن تتغير معاملة عماد والعائلة كلها معها، ولكنه الندم حيث لا يجدي نفعًا.

كانت علياء قد اتفقت مع ميار أن تزورها ميار وهي مازالت في بيت والدها، وبالفعل سافرت ميار أسيوط وزارت صديقتها، حكت علياء ما تشعر به تجاه هيثم ومحمد لميار، ونصحتها ميار بضرورة إيجاد أي قواسم مشتركة بينها وبين زوجها، طلبت منها ميار نسيان هيثم الذي نسى حبهما في لحظة واربط بأخرى لمجرد منصب والدها ومكانته في المجتمع.

عندما وجدت علياء هيثم بهذه الخسة والنذالة قررت أن

تحاول إصلاح العلاقة مع محمد خاصة وأن الطلاق حلا غير مطروح للنقاش سواء من عائلتها أو عائلة زوجها بسبب عضوية المجلس، ومضت ثلاثة أيام ثم سافرت ميار مرة أخرى للقاهرة وتركت صديقتها تواجه ما ينتظرها، ولكن اتصالاتهما لم تنقطع تخبر كلتاهما الأخرى بما يحدث معها، حتى عندما تحدث البلتاجي مع السمنودي على رجوع علياء مرة أخرى لدارها نصحتها ميار بالموافقة والتحدث مع زوجها بكل ما يعتمل في صدرها. فرحت ميار كثيرا بعودة علياء لدار زوجها وولادتها وتحسن علاقتها بزوجها.

في القاهرة..

بعد أن خرجت ميار من المصحة ذهبت لمنزلها وطلبت أم حامد مرة أخرى وعادت أم حامد بعد شهر ونصف الشهر لعملها مرة أخرى

- كيف حالك يا أم حامد؟ هل أعانك المبلغ الذي أعطتك إياه علياء على هذه الفترة الطويلة؟

- الحمد لله مازال لدي باقي المبلغ ولكن كنت قلقة لو تأخرت عودتك ماذا سأفعل، الحمد الذي لا ينسى عباده، حمدا لله على سلامتك، كيف حالك الآن؟

- الحمد لله أنا بخير، مضت فترة الخطر، كل ما عليّ فعله الآن هو الالتزام بالعلاج، وكيف حال حامد الآن

- كما هو ولكني عرفت أنه يتعاطى حبوب مخدرة مع الحشيش ولا أدري ماذا أفعل؟ لقد أتعبني خاصة بعدما اعتاد التكسير أصبح يضربني أيضا، بالفعل لا أعرف كيف أتعامل معه، وأعمامه لا يريدون التدخل، ويلقون باللوم عليّ، ماذا أفعل؟

- اهدئي وفوضي أمرك إلى الله هو المتصرف في الأمور كلها، وادعي له بالهداية، فالله قادر على كل شيء، ألا تحتاجين لأي شيء؟

- لا، بارك الله لك، سأحضر لك طعام الإفطار حتى تتناولين دوائك

- حسنا، لا بأس

وانصرفت أم حامد تُعد لمیار طعام الإفطار ولا تدري كيف تتصرف مع ولدها أعمامه لا يريدون التدخل وأخوتها في الأردن وهي لا تملك ثمن السفر إلى هناك لترك حامد لديهم لكي يحسنوا تربيته، لقد أعياها التفكير ولم تجد حلا.

بعد أن تناولت ميار طعام الإفطار تناولت دواءها ثم أشعلت أولى لفافات التبغ، لقد وجدت له طعما آخر بعد أن تركت المصحة، طعم الحرية في التدخين كما شاءت، على الرغم من طلب حمدي منها تقليل عدد لفافات التبغ التي تدخنها يوميا، تناولت القهوة وتدخنت التبغ كما شاءت، له طعما آخر، وعندما تذكرت حمدي، تذكرت مشاعرها نحوه وخوفها من تلك المشاعر أن تلقي بها إلى التهلكة وتجربة مريرة كتلك التي عاشتها مع عماد، تملكها الخوف فدخنت بشراهة، ولا تعرف كيف الخلاص، أرادت أن تخرج من تلك الحالة فقررت القراءة، وجدت كتاب قد أهداه لها حمدي عن الحجاب، قرأت فيه وهي تعلم أن هذه طريقة مهذبة من حمدي في جعلها ترتدي الحجاب

مرة أخرى، هو لا يدري أنها خلعت حجابها ليس لعدم اقتناعها به ولكن لأنه آخر ما كان يربطها بعهد مضى من القهر والاستبداد، كثيرا ما كانت ترودها الرغبة في ارتداء الحجاب مرة أخرى ولكنها تتراجع في اللحظة الأخيرة لتذكرها ما مضى من حياتها وترغب حقا في نسيانه، تركت الكتاب فها هي تعود مرة أخرى لمخاوفها من حمدي وقهرها من الماضي.

تأكد حمدي بعد خروج ميار من المستشفى من حبه لها، لقد اعتاد رؤيتها يوميا ولكن الآن ليس له سبيل من رؤيتها سوى مرة كل أسبوع، موعد زيارتها الدورية له حتى تشفى تماما، يخاف حمدي من شفائها لأنه لن تكون له حجة في الاتصال بها أو رؤيتها، ولكنه يتمناه في ذات الوقت لكي يستطيع أن يخبرها بمشاعره نحوها، مجموعة من المشاعر المختلطة تراوده، ينتظر بشوق موعد زيارتها له. وأثناء تفكير حمدي بها وجدت هاتفه يرن وهو مزين باسمها رد على الفور

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته
- أشعر بصداع شديد يكاد يودي برأسي، لا أعرف ماذا أفعل؟

- ماذا حدث؟ هل تناولت دوائك؟

- نعم تناولته ولكني شردت فيما مضى

- لابد أن تواجهي مخاوفك يا أستاذة ميار، سنتحدث عن ذلك في زيارتك القادمة، سأرسل لكِ رسالة بها اسم دواء تناولي منه الآن حبتان وسيذهب عنك الصداع

- حاضر، شكرا لك

أنهت المكالمة التي لم تستمر لأكثر من دقيقة، خافت فيها أن يبدو على صوتها اشتياقها لسماع صوته، واشرت الدواء الذي قال وصفه لها الطبيب، شعرت بعده برغبة في النعاس فتركت نفسها للنوم على أن تهاتف علياء عندما تستيقظ. أيقظت أم حامد ميار بعد ثلاث ساعات حتى تتناول طعام الغداء وتتناول دوائها في موعده، لقد وجدت وصفة العلاج الخاص بميار على الطاولة فحفظت مواعيده حتى تتأكد أن ميار تناولته، فمازالت تشعر أن ميار مثل ابنتها وتخاف عليها كما تخاف على أبنائها.

تحدثت ميار مع علياء لتطمئن على حالها، فعلمت بزواجها وظروفه الغريبة فلم تتحدث معها فيما يعتمل في صدرها وهونت على صديقتها ما تمر به من ظروف، وتوالت اتصالاتهما يوميا حتى علمت ميار بزواج هيثم من ابنة رجل الأعمال وعضو

مجلس الشعب حسن عاشور، وتأكدت أن مشاعر الكره تجاه هيثم لها ما يبررها، وبالتالي فكرهها لجميع الرجال له ما يبرره لأن جميعهم أنذال. قامت ميار بإخبار علياء بزواج هيثم وحاولت إقناعها بإصلاح العلاقة مع زوجها، وتوالت اتصالاتهما التي لم تستطع فيها ميار إخبار علياء بما يعتمل في صدرها، كما لم تستطع مصارحة حمدي بذلك كل ما قالته له خوفها من الماضي وخوفها من ارتداء الحجاب، ومحاولة معها حمدي لكي تتقبل الماضي كما هو وأن تسامح نفسها أولا على تظن أنه خطأها، وسافرت ميار لعلياء في منزل والدها وقصت عليها ما فعله هيثم، وأقنعتها بقبول الصلح مع زوجها وإيجاد قواسم مشتركة بينهما.

في ذلك الوقت كانت مشاعرها تجاه حمدي تتأجج ولا تستطيع منع نفسها أو مصارحة أحد بتلك المشاعر؛ فبدأت حالتها تسوء واقترح عليها حمدي السفر لبعض الوقت للتفكير في مسامحة نفسها والبدء من جديد مع تقبل الماضي بحلوه ومره، لكنها حتى الآن تخاف من الماضي ويشعرها بالضيق لعدم قدرتها على تغييره، ولاتزال تخاف من أن تواجه نفسها بحب حمدي، الحب الذي تمكن منها ولا تستطيع مواجهته، وانشغلت في مشاكل صديقتها، وفي ذلك الوقت أقنعتها علياء بعدم وجود

رابط بين ارتدائها الحجاب وبين الماضي، وحاولت انتشالها من تلك الدائرة التي تكاد تودي بحياتها، وبالفعل قررت ميار ارتداء الحجاب مرة أخرى، ولكن هذه المرة وهي مقتنعة كلية بالخطوة التي تقدم عليها، ووعدت ميار علياء بزيارة أخرى لها.

مرت الأيام ومازالت ميار خائفة من مشاعر الحب التي تتملكها يوما بعد يوم، وخوفها مما ستلاقيه إذا تركت لنفسها العنان لتحب من جديد. كان حمدي يشعر أن ميار تكن له بعض المشاعر ولكنه لم يتمكن من معرفة كنه تلك المشاعر فأحيانا يشعر بمشاعر حب من ناحيتها ولكن سرعان ما يتبخر هذا الشعور مع تقلبات ميار عندما تظهر له مشاعر العدائية الشديدة وأخرى عندما تظهر له مشاعر الامتنان لعلاجها.

عندما علمت ميار بوضع علياء لولديها، استأذنت علياء في السفر لها للاطمئنان عليها، ووافقت علياء على زيارتها بعد أن استأذنت من زوجها في ذلك، وتم تحضير غرفة الضيوف لزيارة ميار. عندما حملت ميار أبناء علياء شعرت بمشاعر غريبة في داخلها مشاعر الأمومة التي حرمت منها بسبب عماد، وفي نفس الوقت تمنت لو كان الولدان هما ولديها من حمدي، لاحظت علياء شرودها، فتحدثت معها،

- ماذا بك يا ميار لماذا الشرود؟ ماذا تخفين؟

- لا شيء يا علياء ولكني منذ فترة طويلة ترودني بعض المشاعر ولم أستطع وأدها

- ما هي تلك المشاعر؟

- أشعر بالحب تجاه حمدي، وهذا ما يقلقني ويتسبب في تدهور حالتي النفسية

- وماذا في الحب يا ميار إنه الحياة نفسها؟

- إن الحب يعني الزواج وأنتِ تعلمين ما مررت به في تجربة زواجي إنهم جميعا حيوانات تبحث عن الشهوة ليس إلا، أعرف أن زوجك ليس كذلك ولكنه استثناء من القاعدة، ليس الجميع مثله

- واجهي نفسك يا ميار بحبك وأعلنيه هذه هو الحل الوحيد، أتذكرين عندما نصحتني بالتحدث صراحة مع زوجي، لقد فعلت ذلك وها أنا أحيا الآن حياة كريمة دون أن تساء معاملتي حتى حماتي حسَّنت من طريقة معاملتها، لقد كانت نصيحتك أن الأطفال ستغير من معاملتهم معي مجدية، لقد تغير كل شيء بعد الولادة خاصة عندما أنجبت فتحي وعليّ

- وماذا أفعل؟ هل أذهب لحمدي وأقول له أني أحبه؟ وماذا لو كان لا يحبني؟ ماذا أفعل حينها؟ سأكون قد وضعت نهاية لهذه العلاقة حتى أنني لن أستطيع أن أراه باعتباره طبيبي المشرف على حالتي

- اعتقد أن حمدي يكن لكِ مشاعر أكثر من مشاعر الطبيب تجاه مريضته منذ أول يوم رآك فيه، ثقي بي فأنا شعرت باهتمامه بك خاصة عندما ذهبتِ لعيادته أول مرة، اللهفة التي شعرت بها في صوته ورغبته في اصطحابي لك لمنزلك ثم لإقناعك بضرورة الذهاب للمصحة كلها تنم عن اهتمام شديد أكثر من اهتمام الطبيب بمريض

- وماذا أفعل؟

- لا شيء سوى مراقبة تصرفاته تجاهك، ومحاولة التعرف على مشاعره فإذا كانت حبا سيبادرك هو بإعلان حبه، فقط أبدي بعض المرونة معه وأظهري اهتمام به، فقط بعض الاهتمام الذي يجعله يشعر أن له مكانة خاصة لديكِ، فإذا كان يحبك هو الآخر فيسفهم ذلك الاهتمام ويصارحك بحبه لكِ، أما إذا كانت مشاعره هي فقط مشاعر طبيب تجاه مريض فسيتجاهل تلك الإشارات

- أهذا هو رأيك؟

- أجل، ولا شيء سواه

- وما هي أخبارك مع الحجاب؟ هل مازال يعود بك إلى الماضي؟

- لا لقد تصالحت مع نفسي في بعض الماضي؛ فالماضي قد ولى وذهب ولن يعود، وما حدث فيه قد حدث، المهم هو الآن، وأنا من يصنعه، لقد شعرت براحة عندما ارتديت الحجاب، وهذه أول مرة أشعر فيها بهذا الارتياح، وكما ترين قد غيرت طريقة ملابسي

- بالفعل، ولكنها أنيقة رغم أنها فضفاضة

- لقد وجدت محلا جديدا لملابس المحجبات في المعادي ولديه ملابس محجبات من أفضل الأزياء العالمية مصنعة من أجل المحجبات

- عندما أسافر للقاهرة لابد أن تأتي معي لأشتري منه ملابس محجبات

- هل سترتدين الحجاب؟

- أنا قررت ارتدائه بالفعل، ولكن لن يختلف شيء هنا لأن

طبيعة الملابس هي الملابس الفضفاضة مع غطاء الرأس الاختلاف هو رغبتي في ارتداء الحجاب، لقد رغبني محمد فيه، وجاء لي بالكتب التي تتحدث عن الحجاب وضرورة ارتدائه، وقد اقتنعت به ولكني لم أخبر محمد، فقط عدلت غطاء الرأس كي لا يكشف مني شيء حتى وأنا في داخل الدار أثناء الجلوس مع العائلة في تناول الطعام أو مساعدة حماتي في إدارة الدار

- مبارك عليكِ ارتداء الحجاب، عندما تأتين للقاهرة سأذهب معك لشراء ما تريدين

مرت أربعة أيام كانت ميار في ضيافة عائلة البلتاجي، مرحبا بها ترحيبا شديدا، خاصة عندما رأوا حجابها والتزامها، ولكن كانوا يعيبون عليها أنها مطلقة وتسافر وحدها وعملها كمرشدة سياحية، إلا أن ذلك لم يغير من حسن معاملتهم لها؛ فهي ضيفتهم وهم يجيدون إكرام الضيف، حيث يصدقون على قول الرسول الكريم –صلى الله عليه وسلم– أن إكرام الضيف من حسن إسلام المرء وحبه لله ورسوله.

احتارت علياء بعد تأكدها من حب ميار لحمدي ماذا تفعل؛ فهي تخاف ألا يكون حمدي يبادلها نفس المشاعر وأن تكون تلك صدمة جديدة في حياة ميار قد تؤدي لنكستها مرة أخرى،

فعقدت العزم على الاتصال بحمدي والتحدث معه صراحة عن مدى اهتمامه بمياركل هو بالفعل اهتمام طبيب بمريض أم أنه يتخطى ذلك، ولكنها تراجعت في اللحظة الأخيرة خوفا من إحراج صديقتها أمام طبيبها إذا كان لا يبادلها نفس الشعور، فقررت الاتصال به وسؤاله عن ميار ومدى تحسنها لترى من حديثه مدى اهتمامه بميار

- ألو

- ألو، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، من يتحدث؟

- وعليكم السلام، أنا علياء صديقة ميار، أتذكرني؟

- نعم نعم أذكرك، لقد حاولت الاتصال بك مرارا ولكن هاتفك خارج نطاق الخدمة، وما هذا الرقم؟

- هذا رقمي الجديد لقد أصر زوجي على شراء رقم جديد والتخلي عن الرقم القديم، لماذا كنت تحاول الاتصال بي؟

- تلعثم حمدي قليلا ثم قال لها: لقد كنت اتصل بك بخصوص ميار

- علياء وهي متوترة بشدة: خيرا؟ هل أصابها سوء؟

- لا أبدا هي بخير ولكن أردت أن أتحدث معك بخصوص

أمر آخر

- ما هو؟

- لا أعرف من أين أبدأ ولكني أشعر بمشاعر الحب تجاه ميار ولم أعرف وأدها وأرغب في الزواج منها ولا أعرف مشاعرها وأخاف أن أفاتحها في هذا الموضوع فأخسرها حتى باعتبارها مريضة، لقد تأكدت من حبي لها بعد أن غادرت المصحة وأصبحت غير قادر على رؤيتها سوى في أيام الجلسات، هي قريبة مني ولكنها بعيدة في الوقت ذاته، هل يمكن أن تعرفي مشاعرها تجاهي دون أن تصرحي لها بحبي حتى لا أخسرها إن كانت لا تحبني؟

- لقد فاجأتني، ولكن هل يجوز أن ترتبط بمريضة لديك؟

- هو لا يجوز في أخلاقيات المهنة، فمن أخلاق المهنة عدم الارتباط بمريض أنت تعالجه، ولكن لم أستطع أن أقاوم حبها، لقد غزت قلبي دون سابق إنذار

- عموما سأتحدث معها، والآن كنت أريد أن أعرف مدى التحسن في حالتها

- هي الحمد لله قاربت على الشفاء، ولكنها ستظل منتظمة على الأدوية فترة طويلة حتى لا تحدث لها انتكاسة

- حمـدا الله، لقـد اطمأننـت عليهـا، وأعـدك سـأعرف منهـا مشاعرها تجاهك

أغلقت علياء الاتصال مع حمدي، الـذي شعر بالخجـل مـن نفسه في تسرعه في إعلان مشاعره أمام علياء ولكنـه شعر بـالخوف إذا علمت ميار بحبه أن يخسرها للأبد، وانتظر بفارغ الصبر موعد الزيارة التالية لميـار وقـد بقـي عليهـا ثلاثـة أيـام، ليعـرف رد فعلهـا علـى حديثـه مـع عليـاء، أياما مـرت عليـه كالـدهر؛ خوفـا مـن ردة فعلها واشتياقًا لها.

سمع محمد علياءً وهي تتحدث في الهـاتف مـع شـخص مـا، فانتظرهـا حتـى أنهـت المكالمـة ثـم دخـل الحجـرة يـسألها عـن المكالمة

- هل كنتِ تتحدثين في الهاتف؟
- نعم
- مع من؟
- مع الطبيب المعالج لميار؟ لماذا السؤال؟
- وهل يجوز أن تتحدثي مع رجل غريب دون إذني؟
- ماذا؟ لم اعتد أن استأذن أحدا قبل إجـراء مكالمـة، أنـا لـم

أفعل أي خطأ

- يا أم فتحي، أنا رجل صعيدي ولا أحب أن تتحدث زوجتي مع الأغراب دون إذني

استغربت علياء من الطريقة التي تحدث بها محمد، إنها أول مرة منذ عودتها للدار مرة أخرى، يغضب مثل هذا الغضب لمجرد إجرائها مكالمة هاتفية، ولكنها استوعبت أنها غيرة الرجل على نسائه فاعتذرت منه وقصت عليه سبب مكالمتها لحمدي وما حدث فيها، وسألته المشورة في هذه الحالة. غضب محمد بعض الشيء لأن ذلك من وجهة نظره خطأ ولا يجوز، لا يجوز أن تحب ميار قبل أن تتزوج به، ولا يجوز أن يصارح حمدي علياء بمشاعره تجاه ميار، فإذا كان يحبها فليتزوجها ولا يدع أي مجال للحديث عن سمعة حبيبته. ثم اتفق مع علياء على السفر فاقترحت عليه السفر لدهب ولكن بعد المرور أولا على القاهرة للحصول على مستحقاتها، ووافق محمد وأخبر والده بسفره هو وزوجته لمدة أسبوعين، وسمح له والده بذلك ولكن بعد أسبوع حتى ينهي محمد بعض التعاملات العاجلة في أعمال والده.

بعد سفر علياء للقاهرة استأذنت زوجها في الذهاب لزيارة ميار والخروج معها لشراء بعض الأشياء وافق محمد على ذلك:

- يمكنك الذهاب إليها ولكني سأوصلك إلى هناك وأعود للفندق، وعندما تريدين الرجوع اتصلي بي لآخذك من هناك

- حاضر

بالفعل ذهبت علياء لصديقتها واحتسيا الشاي ثم خرجا لشراء الملابس من المحل الذي أخبرت ميار عنه علياء، بعد انصراف علياء من عند ميار وذهابها للفندق فوجئ محمد بالملابس التي اشترتها علياء:

- ما هذه الملابس؟ هل هي بالفعل ملابس محجبات؟

- نعم، لقد قررت ارتداء الحجاب فعليا وليس مجرد غطاء رأس لكوننا في الصعيد

- ألهذا السبب لم تغيري ملابس الصعيد وغطاء الرأس

- نعم

- ولماذا لم تخبريني لأشتري لك ما تريدين؟

- أردت أن أجعلها مفاجأة لك، كما أن معي مستحقاتي من الشركة التي كنت أعمل بها وهي ملابسي فلماذا تشتريها أنت ومعي ما يكفي؟

- كم كلفتك تلك الملابس؟

- لماذا؟

- أنا زوجك ويجب عليّ الانفاق على كل شيء تريدينه

- ولكن أنا معي النقود الوفيرة من مكافأة نهاية الخدمة

- أموالك لكِ للادخار، أما احتياجاتك كافة هي إلزام لي أن أتكفل به، حتى وإن شيئا خاصا بك

- حاضر، لك ما تريد

- وشيء آخر، أنا لا أحب المفاجآت رغم أن هذه المفاجأة أفرحتني بالفعل

- حاضر

أنهت علياء حديثها مع زوجها، الذي فرح بقرار علياء بالحجاب وأنها ارتده برغبتها هي لا إجبار عليها من جانبه، لقد شعر معها بمشاعر الحب والعشرة والأبوة، فهي لم تحرمه شيئا، واشتاق لها منذ آخر مرة جامعها فيها قبل مغادرتها لداره لم يمسها حتى الآن، لا يريد أن يغصبها على شيء ولكنه يشتاق لها، لملمسها الناعم الذي شعر به عندما عاشرها أول مرة، لكنه أراد أن يكون ذلك بموافقتها، أراد أن يتقرب منها ويعرف كل منهما الآخر، أراد أن تكون له بإرادتها، أن يستمتع بحبها له، رغم أنها لم

تصرح بمشاعر الحب ولكن تصرفاتها معه تنم عن ذلك، فرحتها بقدومه من العمل يوميا وحديثها الذي سمعه وهي تتحدث مع ميار عندما كانت في داره، لقد استمع لحديثهما صدفة وهو مار من أمام حجرة الضيوف وسعد بفرحة علياء به وبمعاملته، ولكن عكر عليه هذه الفرحة أن علياء من قبل كانت تكرهه وأرادت أن تجهض نفسها قبل أن يعلم أحد بحملها ولولا نصيحة ميار لها بالإبقاء على الحمل ما كانت الأمور ستنصلح بينهما، احترم ميار كثيرا لأنها السبب في سعادته والسبب في أبوته، وأراد تعويض علياء عما سببه لها من ألم، ولكنه استغرب نفسه، كيف لم يوبخها ويرجعها لدار والدها لما سمعه من كلمات الكره ورغبة زوجته في الإجهاض، لو كانت امرأة أخرى لطلقها دون رجوع، ولكنه أراد تعويضها، وعلم أنه الحب الذي داعب قلبه واستقر فيه، وأقسم على العكوف على راحتها.

مرت الأيام ووجد حمدي الاهتمام الذي تبديه ميار له، والتقط الخيط، وبعد أن أنهت فترة علاجها، وتأكد حمدي من شفائها وقدرتها على الاختيار السليم طلب مقابلتها:

- كيف حالك يا ميار؟

- الحمد لله بخير، ولكن ما يزعجني هو استمراري في

العلاج خاصة بعد أن قلت لي أني شفيت

- هل هو متعب لتلك الدرجة؟

- إطلاقا، ولكنه إحساس أني ملزمة بتناوله كل يوم شعور مزعج بالنسبة لي

- حسنا، كنت أود أن أتحدث معك في موضوع هام

- خيرا؟

- أنا أحبك يا ميار منذ أول يوم رأيتك فيه في النادي مع علياء وهيثم، وكنت أخاف أن أتحدث معك في هذا الموضوع خوفا من ردة فعلك وبعد بدء العلاج خوفا من قبولك لمجرد العرفان بالجميل أو أن أخسرك للأبد، وأريد الزواج بك

- لا أدري ماذا أقول لك، أنا لا أنكر أني أيضا أحبك، ولكني خائفة، أنت تعلم خوفي من الرجال والتجربة التي مررت بها مع عماد، إني أخاف من الارتباط، أخاف من كل الرجال، فكيف سأقبل بارتباط جديد

- إذا لم تقولِ ذلك كنت لأظنك لازلتِ في حاجة للعلاج، سنأخذ هذا الموضوع على عدة خطوات، أولها أن نتعرف على بعضنا البعض، ولن نأخذ أية خطوات جدية حتى تشعري

بقدرتك على اتخاذ هذه الخطوة، لسنا في عجلة من أمرنا خذي وقتك في التفكير واتركي لمشاعرك العنان لتخرج للعلن، ولن نتزوج حتى تأخذي بنفسك هذا القرار، أعي أن تجربتك السابقة في الزواج كانت قاسية ولكن ما تعرضتِ له استثناء وليس القاعدة

- انا فعلا خائفة وفي حيرة من أمري ما بين شعوري بقربي منك وخوفي من ارتباطنا

- لا تخافي يا ميار نحن لسنا في عجلة من أمرنا، ما رأيك في نعلن خطوبتنا الآن والزواج يأتي وقت شعورك بالقدرة على اتخاذ ذلك القرار

- أوافق على ذلك، نعم الرأي

- إذن لنشتري دبل الخطوبة وتكون الخطبة يوم الخميس القادم بإذن الله، ولكن لي رجاء عندك

- ما هو؟

- أن تحضر والدتك الخطوبة

- لن توافق

- لماذا؟

- لأنها هي وعمي اعتبروا أني مت منذ تزوجت هي من

عمي بعد انتهاء عدتها بعد وفاة والدي

- سنحاول

- لن أعود لهم مرة أخرى، فأنا لا أعرف كيف سأتعامل مع عماد فأنت تعرف كل شيء

- حسنا، سأقوم بمحاولة دون وجودك وأتقدم لخطبتك منهم

- كما تريد

بالفعل ذهب حمدي لمنزل عم ميار والتقى به، وطلب منه يد ميار للزواج بها:

- عمي أنا اسمي حمدي طبيب أمراض نفسية وكنت أريد طلب يد ابنة أخيك المصون أستاذة ميار

- لا بنات لدينا للزواج، وميار قد ماتت

- يا عمي انا أعرف المشاكل التي حدثت بينكم، أنا كنت الطبيب المعالج لأستاذة ميار طوال العام الماضي

- لقد قلت لك ليس لدينا بنات للزواج وميار قد ماتت، خذ واجب الضيافة ثم ارحل

فوجئ حمدي برد فعل عم ميار، لم يكن يتوقعه؛ على الرغم

من علمه منها مدى قسوتهم ولكنه لم يعتقد أنهم بمثل تلك القسوة، أن يعتبروها ميتة لمطالبتها بحقها من عماد بعد كل ما تسبب فيه لها من أضرار. كان يعتقد أن زواجها سيرجعها مرة أخرى إليهم ويحسِّن من معاملتهم معها، قرر حمدي أن تتم الخطبة وسط أصدقائهم وعائلته.

عندما قرر حمدي الارتباط رحبت والدته بالفكرة، فهي كانت تكثر من حديثها عن ضرورة زواجه، ولكنها صدمت عندما علمت أن ميار مطلقة، كانت تحلم بفتاة لم يسبق لها الزواج ويكون ابنها هو أول رجل في حياتها، إلا أن حمدي بذل قصارى جهده لإقناعها بمقابلة ميار أولا ثم الحكم عليها، ووافقت والدته على ذلك. وبالفعل تمت المقابلة في منزل ميار، مقابلة كانت فيها فوزية والدة حمدي غاية في الفتور:

- كيف حالك يا ميار؟

- الحمد لله بخير يا حمدي

- يا أمي هذه هي ميار التي تحدثت معكِ سابقا عنها

- اهلا وسهلا، إلا تخبريني يا ميار بسبب طلاقك من زوجك السابق؟

- ألم يخبرك حمدي بذلك؟

- لا، حمدي لم يقل لي شيئا

- لقد طُلقت من زوجي لأنه همجي صعب المعشر، لا يتحدث سوى بالضرب والإهانة وفي آخر مرة ضربني ذهبت للمستشفى وخيط رأسي بعشر غرز غير الكدمات والجروح الأخرى وكسر في أحد الضلوع فحررت له محضرا وطلبت الطلاق لم أستطع تحمل الإهانة أكثر مما احتملت

- حررتِ محضرا ضد زوجك؟!

- نعم، المستشفى أصرت أن تحرر محضرا بالواقعة وأنا اتهمت طليقي وتم حبسه وطلبت الطلاق بعد ذلك

- ما حدث ما أمي هل هو تحقيق

- لا ليس بتحقيق يا بني ولكني مستغربة أن تحرر زوجة محضرا ضد زوجها

- الضرب والإهانة تستحق العقاب يا أمي

- ليس لي شأن بذلك، أنت أدرى مني بذلك

- كم عمرك يا ميار؟

- ٣٢ عام

- ما شاء الله تبدين أصغر من سنك، هناك فرق خمس

سنوات بينك وبين حمدي

- يا أماه، هل خمس سنوات فقط؟ أنت تعلمين أن الفرق أكثر من ذلك

- عموما لنا شرف التعرف بك يا ميار، ألن نذهب لبيتنا يا حمدي؟

- أجل كما تريدين يا أمي

- أتعملين يا ميار؟

- نعم، أعمل مرشدة سياحية

- مرشدة سياحية!!!!

- وماذا في عملي؟

- لا شيء ولكن كل فترة ستتركين زوجك وتسافرين

- إطلاقا، إن شاء الله بعد الزواج سأعود لعملي في القاهرة فقط كما كنت قبل الزواج

انتهت المقابلة التي أحست ميار بها بفتور والدة حمدي تجاهها ولكنها لم تعرف ماذا تفعل، فانتظرت مهاتفة حمدي لها، كانت أم حامد قد سمعت الحديث وفهمت منه رفض والدة حمدي لميار بسبب ظروفها التي مرت بها، ظروف ليس لميار يد

بها، خاصة عندما بدأت أول حديثها بالسؤال عن سبب طلاق ميار من زوجها، ودون أن تعلن عما فهمته من المقابلة ذهبت للمباركة لميار، إلا أن ميار واجهتها بشعورها بفتور والدة حمدي وشعورها برفضها لها، طمأنتها أم حامد أن حمدي متمسك بها ولن يتركها.

بعد أن أوصل حمدي والدته للمنزل:

- ما هذه المقابلة يا أمي؟ لماذا كنتِ قاسية مع ميار إلى هذا الحد؟ أما كان يمكنك انتظار مهاجمتها حتى تعرفينها جيدا؟

- وماذا فعلت؟

- لم تعطها فرصة لكي تتعرفي عليها وكان أول حديثك عن طلاقها، وأنتِ تعلمين ظروف طلاقها لأني شرحتها لك، لم تعطِ لنفسك فرصة كي تتعرفي عليها، وماذا في عملها إنه عمل شريف ولا خجل منه، لقد أحرجتني كما أحرجتها في منزلها

- أنت تعلم تماما رفضي لزواجك ممن سبق لها الزواج عامة، وخاصة لها، لقد حررت محضرا ضد زوجها؛ فماذا ستفعل معك؟

- لقد استحق ما فعلت لما سببه لها من آلام نفسية وجسدية، ألا يكفي أنه ضربها وتركها غارقة في دمائها وخرج لولا

الخادمة اتصلت بالإسعاف لكانت توفاها الله

- ذلك لن يغير أنها سبق لها الزواج وأنت لم يسبق لك الزواج وأريد لك زوجة بكرا لم يمسها غيرك قبلك

- إذن لابد أن تعرفي أني سأتزوج من ميار ولن أتركها سواء وافقتِ على هذه الزيجة أم لا، فأنا لست صغيرا وأنا عاقل بما يكفي لاختيار شريكة حياتي

- على الرغم من رفضي

- سأتزوجها على أي حال، لذا فموافقتك أفضل

- إذن تزوجها ولكني غير راضية عن تلك الزيجة، على شرط لا أريد رؤيتها

- لك ما تريدين

بعد انتهاء حديث حمدي مع والدته، شعرت بالضيق الشديد من هذه المرأة التي استطاعت سلب لُب ولدها لكي يفضلها على والدته ويتزوجها رغما عنها، ألا يرى أنه لم يتزوج من قبل وهي تزوجت، بل وطلقت أيضا، كان من الممكن أن تقبل ميار على مضض لو كانت أرملة، ولكن مطلقة وحررت محضرا ضد زوجها ورفعت عليه قضية للطلاق؛ فماذا ستفعل إذا حدثت

مشاكل بينها وبين ولدها، ماذا ستفعل به هذه المرأة. لقد خافت فوزية على ولدها كثيرا، ولم تعلم ماذا تفعل لإصرار ولدها على هذه الزيجة، التي قرر أنها ستتم رغم رفضها، خافت أن تخطفه هذه الميار منها؛ لذا قررت أن تعلن موافقتها الظاهرية على زواجه من هذه المرأة على أن تتولى هي مراقبتها والتصدي لها إذا تسببت في أي ألم لحمدي وذهبت لحمدي لتخبره موافقتها:

- يا ولدي، لقد فكرت فيما دار بيننا من حديث، وجئت لأخبرك بموافقتي على زواجك

- خيرا فعلت يا أماه، لم تكتمل فرحتي دون رضائك

- أكنت ستهتم برفضي أم موافقتي

- صحيح أنني سأتزوجها رغم كل شيء لأني أحبها ولكن بمباركتك سيكون أفضل، سأكون مع أمي التي تحبني أكثر من نفسها وفي نفس الوقت مع حبيبة قلبي التي أعشقها وهي تبادلني نفس المشاعر، سأدبر لقاء آخر لك مع ميار نناقش فيه تفاصيل الزواج

- أليس لها أهل نناقش معهم هذه التفاصيل؟

- أهلها رافضين لزواجها من خارج العائلة، وأنا أعرف ذلك وحاولت معهم كثيرا ولكنهم غير راضين

- لقد رضيت بها وهي مطلقة، والآن تريدني أن أقبلها وقد عقَّت أهلها واختارتك؟

- صدقيني لو عرفتِ أهلها ومعاملتهم وأسلوبهم لأشفقتِ عليها

- لا أعرف كيف أعماك العشق لهذه الدرجة، اعلم أن موافقتي ليست نابعة من قلبي، ولا أريد مقابلتها كثيرا فاعمل على ذلك

- لا تخشي ذلك، فأنا أبحث عن شقة بالقرب منك لأستطيع زيارتك متى شئت وتستطيعِ زيارتي متى شئتِ

- لقد فكرت في كل شيء، فما أهمية رأيي

- أنتِ أمي ولكي الحق في معرفة ماذا أنوي فعله قبل أن أفعله، ولكنني لست بصغير لكي أنتظر السماح أو الرفض فتلك هي حياتي أنا، وأنا من سأعيشها

- هناك في الشارع المجاور لنا شقة معروضة للبيع لسفر أصحابها يمكنك زيارتهم ورؤية الشقة وإذا أعجبتك يمكنك شرائها

- حسنا، سأخبر ميار لتحدد موعدا لرؤية الشقة وإذا وافقت

سأشتريها

- وما أهمية رأيها، أتسيطر عليك لهذه الدرجة؟
- إنها شقتها وهي من ستقطن بها ويجب أن تكون باختيارها
- افعل ما شئت، لقد أحكمت تلك المرأة سيطرتها عليك

وتركته والدته وهي غاضبة ومستاءة من تحكم ميار بولدها، لم يؤثر ذلك الحديث على حمدي حيث حمدي منذ البداية عدم ترحيب والدته بهذه الزيجة، ولأنه مُصر على الارتباط بميار أخفى عن والدته أن ميار كانت مريضة، وأنه كان طبيبها المعالج، يعرف أن حقيقة طلاق ميار ورفض أهلها لها، وحدهما كفيلين برفض والدته، ولكنه راهن على موافقتها خوفا عليه، وخوفا من فقدها له. لم تكن والدة حمدي هي كل ما يقلقه، لقد كان مصدر قلقه الحقيقي تعامل ميار مع الزواج وخوفها من الزواج ومن حمدي ومن الرجال جميعا، لقد شفيت ولكن مازال هذا الخوف يقف حاجزا بينهما، لا يعرف كيف يعينها على تخطيه إنها خطوة صعبة جدا، وعليه طمأنتها كثيرا، أعياه التفكير في ذلك الأمر، رغم حبه لها يشعر بحبها له وكذلك خوفها منه، كانت خطوة الخطوبة محاولة من حمدي للتقرب من ميار ومحاولة لطمأنتها بحسن التعامل معها والبُعد عن كل ما يقلقها، وكان ما يقلقه حقا كيف

سيتصرف في حال حدثت بينهما مشاكل دون أن يؤثر ذلك سلبا على صحتها النفسية. شعر حمدي بكم المعاناة التي سيتعرض لها مع ميار ولكن مع كل تلك المخاوف والهواجس طمأن نفسه أن ميار شفيت وأنها عاقلة ويمكنها معالجة الوضع بهدوء.

بعد الشرود في كل ذلك أخرجه من شروده اتصال ميار به:

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، كيف حالك الآن؟

- الحمد لله، لقد انتظرت اتصالك بعد عودنك للمنزل لأعرف رأي والدتك، حيث في مقابلتها، أشعر أنها لم توافق على زواجنا، لذلك لم تتصل بي لدى وصولك

- لا تقلقي لقد وافقت على زواجنا، كما أنها كانت تفكر به وبحثت عن الشقق المعروضة للبيع ووجدت شقة في الشارع المجاور لنا

- الحمد لله، كنت قلقة اعتقدت أنها رفضت زواجك بي، ثم لماذا شقة جديدة شقتي موجودة؟

- لا يا ميار، يجب أن تكون شقتي هي التي تعيشين بها، أما شقتك فهي لكِ أنتِ

- وهل هناك فرق بيننا؟

- ليس فرقا ولكني لا أريد أن أعيش في شقة زوجتي، أريد أن تكون الشقة من مجهودي وأموالي، أما شقتك فهي لك بكل محتوياتها، يمكن أن نمكث هناك بعض الوقت إذا اشتقتِ لها

- كما تريد

- أنا أريد منك تحديد موعد لكي تري الشقة وتري إذا كانت مناسبة لك أم لا

- أتتحدث حقا، هل سيكون لي رأي في الشقة؟

- نعم، إنها مملكتك الخاصة، أنتِ من يختار كل شيء بدءً من الشقة حتى الأثاث الموجود بها

- أتعلم، لم أختر أي شيء في زيجتي السابقة كل شيء كان مفروضا علي حتى ملابسي

- انسِ ما مضى، فكري في الحاضر والمستقبل، منزلك هو مملكتك الخاصة، تختارينها وتختاري كل شيء بها، وما عليّ سوى تنفيذ طلباتك

- حقا يا حمدي، أنا أحبك

- وأنا أيضا أعشقك وأعشق كل شيء بك، هناك شيء آخر

- وما هو؟

- حددي موعدا نناقش فيه تفاصيل الخطوبة والزواج

- حدد الموعد المناسب لك وأخبرني به

- لا ميار أنتِ من سيقرر الموعد والمكان

- إذن فليكن عندي في المنزل، يوم الخميس القادم

- أي بعد أربعة أيام، تمام هذا مناسب جدا، هيا تناولي دوائك ونامِ جيدا

- حاضر

أنهت ميار المكالمة وهي سعيدة أيما سعادة، سعيدة بموافقة والدة حمدي على الزواج، والأكثر من ذلك أنها من ستختار بيتها وأثاثه وكل شيء به، تشعر أنها تتزوج للمرة الأولى، ندمت أنها تحدثت مع حمدي في تلك السعادة عن الماضي والزيجة الماضية ولكنها تعلم أن حمدي يفهمها جيدا وأنه لن يتضايق لذلك، لم تتمالك نفسها من الفرحة ونادت على أم حامد تخبرها هذا الخبر السار

- يا أم حامد، لقد وافقت والدة حمدي على الزواج وسيأتي يوم الخميس لمناقشة تفاصيل الزواج

- مبارك لك يا سيدتي فأنتِ تستحقين كل خير، وأستاذ حمدي يبدو طيبا ويظهر عليه حبك

- سأحدد معه موعدا لنرى الشقة الجديدة

- ماذا بك يا أم حامد، لماذا تغير وجهك

- ماذا سيحدث معي بعد زواجك

- لا شيء ستأتي معي لبيتي الجديد كما أنتِ هنا معي

- حقا، هل سيرضى أستاذ حمدي بذلك

- نعم، هو قال لي أني صاحبة الرأي في كل شيء، أشعر وكأنها أول مرة لي في الزواج

- انسِ ما مضى، فزوجك السابق لم يكن إنسانا، وسامحيني لقد كان وغدا، لقد أكرمك الله بالأستاذ حمدي

- فعلا يا أم حامد، ولكني أخاف من والدته

- لا عليك منها، دعي أستاذ حمدي يتصرف معها، لا أعتقد أن لقاءك معها سيكون كثيرا، وأستاذ حمدي يحبك ولم يقبل أي إساءة لك

- فعلا، لقد ظننت أنها رفضت خاصة بعد المقابلة وفتورها، خاصة أن حمدي لم يتصل بي بعد عودته، ولكن

حمدي فاجأني بموافقتها

- لذلك أقول لكِ لا تخافين منها

- سأعد كل شيء ليوم الخميس، ولكن لابد لك من شراء ملابس جديدة للقاء أستاذ حمدي ومناقشة تفاصيل الزواج

- وما هي مشكلة ملابسي الحالية

- لا شيء ولكن عندنا الملابس الجديد فأل خير

- إذن سأتحدث مع علياء فهي لا تزال في القاهرة على ما أعتقد

- هل تريدين مني شيئا آخر، أم أذهب لأولادي

- يمكنك الانصراف

انصرفت أم حامد بعد أن اطمأن قلبها أنها لن تترك مخدومتها، كانت تخاف أن يصرفها حمدي، وكانت تفكر كيف ستجد عملا آخر قبل أن تنفد النقود التي ستأخذها منهم، وبعد أن علمت أنها ستكمل عملها مع مخدومتها فرحت كثيرا بذلك، وقررت شراء بعض الفاكهة لأولادها ليفرحوا بها كما فرحت هي، هم لا يكترثون لعملها ولكنهم لا يكفون عن طلب النقود، وها هو مصدر رزقها مازال قائما، وتحمد الله لذلك وتدعو بكل

الخير لمخدومتها التي لا تبخل عليها بأي شيء.

اتصلت ميار بصديقتها علياء لتخبرها بموافقة والدة حمدي على الزواج وتعرف منها إن كانت لا تزال في القاهرة أم سافرت

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

- وعليكم السلام، كيف حالك يا ميار؟

- الحمد لله بخير، لك عندي خبر سار، لقد وافقت والدة حمدي على الزواج، وكنت أريد أن أعرف هل مازالتِ في القاهرة أم سافرت

- مبارك لك، أنتِ تستحقين كل خير، أنا الآن في دهب وسأسافر لأسيوط بعد أسبوع تقريبا

- كنت أريد أن تكوني معي يوم الخميس القادم

- ولماذا الخميس؟

- سيأتي حمدي ووالدته لمناقشة تفاصيل الزواج

- مبارك لك، آسفة يا صديقتي ولكن لن أستطيع أن أكون معك، ولكن أعدك سأكون موجودة معك في حفل الزفاف

- الزفاف بعيد يا علياء ستكون هناك خطوبة فقط

- ولماذا خطوبة فقط، حمدي شخص جيد أسرعي

بالزواج لكي يمكنكم التعرف على بعض أكثر

- أخاف من مرحلة الزفاف، أتذكرين عماد ما فعله

- لعن الله عماد، إنه نذل ووغد، ليس برجل لكي تقارنيه بأي شخص، حمدي شخص ممتاز ويحبك ورأيي الإسراع بالزفاف

- أتري ذلك أفضل؟

- نعم، أسرعي بالزفاف

بعد انتهاء المكالمة بين علياء وميار، كان محمد يستمع لكلام علياء ورأى الصواب في رأيها ففعلا خير وسيلة للتفاهم تأتي بعد الزواج، وأن الزواج يساعد كلا الطرفين على معرفة بعضهما البعض، فهو لم يعرف علياء أو يفهمها سوى بعد الزواج، يعرف أنه تصرف بهمجية في بداية الزفاف ولكنه يدرك أن ذلك حدث لأنه لم يكن يعرفها وأنه استمع للناس ولم يستمع لعقله، لذلك أعطى لنفسه ولعلياء الفرصة بالسفر كي يعرف كلا منهما الآخر بحق:

- لقد أعجبني رأيك يا علياء

- محمد، هل كنت تستمع للمكالمة

- عن غير قصد، لقد كان صوتك مسموعا لي في الحجرة خاصة بعد نوم فتحي وعليّ، اعتذر عن ذلك إذا ضايقك

- لا عليك، فأنا فرحة لصديقتي وما كنا نتحدث في أسرار

- ومن عماد هذا الذي وصفتيه بالنذالة؟

- إنه طليقها

- ولماذا هو وغد ونذل؟

- لقد كان يضربها كثيرا ولا يأبه لحالها، وفي آخر مرة ضربها كاد يودي بحياتها لولا أن خادمتها لما رأت الدماء تنساب من رأسها اتصلت بالإسعاف ولم تخف منه

- إنه ليس برجل من الأساس من يضرب امرأة ليس برجل

- ولكنك صفعتني في بداية زواجنا

- اعتذر عن ذلك ولكن صراخك كاد أن يجمع علينا أهل البيت، كما أنني وقتها لم أكن قد عرفتك جيدا

- أتعرف يا محمد، لم أعرفك جيدا إلا في المستشفى وقت مخاضي

- وأنا لم أعرفك سوى عندما تحدثتِ معي بصدق بعد ولادتك، لقد وجدت شخصية واعية ومدركة لما يحدث ولكنها

عنيدة صعبة المراس

- أنا عنيدة

- بشدة

- لماذا؟

- ألا تدركين أفعالك في بداية الزواج وترك الدار دون إذن

- لقد سئمت وقتها من شدتك في التعامل وقسوة والدتك، ولكن اعتذر عن ذلك، فمنذ عرفتك جيدا وجدتك شخص آخر غير ما تخليته قبل زواجنا

- أعدك أن أحافظ عليك يا زوجتي الحبيبة

- ما هذا؟ أهذا حديث حب؟

- نعم، ولما لا ونحن وحدنا وأنا بالفعل أحببتك؟

- أتعلم، أحبك كثيرا حين أرى هذا الحنان وتلك المشاعر المحبة في عينيك وأحبك أكثر حين تعلنها

- وأنا أيضا أحبك خاصة حين تكونين مطيعة

بعد حديث الحب والهيام ضم محمد علياء لحضنه وهي استجابت له، وتأججت مشاعر الحب بينهما حتى وجدا نفسيهما معا في لقاء حب يحدث لأول مرة بعد ولادة علياء، أنهيا اللقاء

وبعده خاف محمد أن يشعر ذلك علياء بالألم كما حدث أول مرة ولكنه اطمأن حين قالت له ببعض الغنج "مبارك عليك يا عريس" شعر تجاهها بالحب والحنين لها، حنين جعله يأخذها مرات أخرى شعر فيها محمد أنه امتلك الدنيا وما فيها، وشعرت معها علياء بالشوق لمحمد وبعد للقاء الذي امتد لساعات قضى فيها كل منهما شوقه للآخر، طلبت منه علياء أن يكون رحيما بها ولا يخذلها، ووعدها محمد بذلك، وكيف لا وهو يشعر معها كل يوم أنها جزء منه، رجل الصعيد الحازم الصارم، أضحى أمامها المحب الهائم، الذي لا يرفض لها طلبا، وعدها محمد بحضور خطوبة وزفاف صديقتها الوحيدة، التي يرى محمد أنها كانت سببا في حالة الحب التي يعيشها الآن وأنها كانت سببا في أبوته لولديه، كما طلب منها دعوة حمدي وميار بعد الزفاف لقضيا بعض الوقت معهم في الصعيد كي يوطد صلته بحمدي لأن زواجه من ميار يعني وجود حمدي مع ميار أثناء زيارة زوجته له، وعادات الصعيد وغيرته على زوجته تمنعه من وجودها في حضور رجل غريب؛ لذا وجد الحل في توطيد علاقته مع حمدي ليكون مع زوجته في وجود رجل غريب.

مضت الأيام سريعا، كانت ميار فيها قد اشترت ملابس جديدة لتكون فأل خير كما قالت لها أم حامد، واتفقا على تفاصيل كل شيء، وحددوا موعد الخطبة بعد شهر من يوم الخميس حتى تكون ميار مستعدة وحتى يحجز حمدي قاعة مناسبة للخطبة، كما حددوا موعدا لشراء شبكة ميار.

كانت ميار سعيدة سعادة لا توصف، تشعر أنها أول مرة لها في الزواج؛ وكيف لا وكل شيء مختلف هذه المرة؛ فهي تحب حمدي وتعرف أنه رجلا بمعنى الكلمة، تختار كل شيء في الزواج موعد الخطبة والشبكة والشقة والأثاث، قرر حمدي أنه سيتكفل بكل شيء بداية من الشقة وحتى الأثاث وما على ميار سوى الاختيار، لم يعجب ذلك والدته ولكنها وافقت على مضض حتى لا تحرج ولدها أمام الغرباء، لم تظهر مشاعر الحب تجاه ميار وكذا مشاعر الكره، كانت مشاعرها فاترة تجاه ميار، الأنثى التي خطفت منها وحيدها.

بعد تحديد موعد الخطبة، تحدث حمدي مع ميار في تحديد موعد الزفاف

- متى تحبين أن يكون موعد الزفاف يا ميار
- متى جهز كل شيء، لا داعي للتأجيل

- هل أنتِ واثقة من ذلك؟

- نعم، لكي يعرف كل منا الآخر جيدا، ولن يكون ذلك ممكنا دون زواج، وأنا لا أريد أن تطول فترة الخطبة

- لكِ ذلك

- ولكن لي شرط

- ما هو؟

- ألا تحدث بيننا علاقة حتى اطمئن لك

- هل لازلت تخافين مني؟

- أنا أخاف كل الرجال وأحتاج أن أشعر بالأمان، أنا أشعر به الآن ولكن العلاقة أنت تعرف ما مررت به

- لا تخافي لن يحدث شيء دون إرادتك

- أحبك يا حمدي، وأخاف أن أخسرك

- لا تخافي يا حبيبتي، فأنا لا أستطيع العيش دونك

- حقا يا حمدي؟

- نعم، إنك كل شيء لي في حياتي

- إذن فليكن الزفاف بعد شهر من الخطبة يكون منزلنا قد اكتمل

- فليكن بعد شهر من الخطبة ولكن ألن يكون ذلك عبئا عليك لظروف عملك

- لا عليك، سأستطيع التوفيق بينهم، كما أننا سنبدأ في التجهيز منذ الآن

- إذن سأحجز قاعة الزواج وأخبرك بالموعد لكي تخبري أصدقائك به

- ليس لي سوى علياء

- أخبريها بالموعد، وأخبريها في رغبتي في لقاء زوجها

- لماذا؟

- أنتما صديقتان ومن الطبيعي أن تلتقيان وأنا لا أحب لقائك برجل غريب دون وجودي لذا من الطبيعي أن يكون زوجها صديق لي حتى أكون معه في لقاءكما

- أتغار عليّ

- نعم، أغار عليك، أنتِ زوجتي وحبيبة قلبي

- سأتحدث معها لتأتي في الخطبة وتمكث يوم أو أكثر بعدها حتى تستطيع التعرف على زوجها، الذي داعانا بعد الزواج لقضاء بعض الوقت في بلدته

- حسنا، إنه يفكر مثلي، نعم الرجل

اتصلت ميار بصديقتها وأخبرتها بموعد الخطبة وطلبت منها المكوث بضعة أيام حتى يتثنى لحمدي ومحمد اللقاء، وأخبرت كل منهما صديقتها بسبب رغبة حمدي ومحمد في التعرف على الآخر، وتمت الخطبة وبالفعل حضر محمد مع علياء ومكثا في القاهرة يومان بعد الخطبة التقى فيهما محمد وحمدي معا في النادي:

- أهلا بك يا أستاذ محمد في القاهرة

- أهلا بك يا حمدي، يا ليت نتحدث بلا ألقاب فنحن أصبحنا أصدقاء، ولا داعي لتلك الألقاب

- معك الحق يا محمد

- مبارك لك يا أستاذة، أستأذنك يا حمدي أن نمشي سوية ونترك النساء مع بعضهم

- لديك كل الحق هيا بنا

- يبدو أن خطيبك يفكر كما يفكر زوجي يا ميار

- بالفعل يا علياء، ولكن لماذا لم يذكر زوجك اسمي واكتفى باللقب فقط؟

- عاداتهم في الصعيد تجد العيب في ذكر اسم المرأة لذا اكتفى باللقب وبعد زواجك ستصبحين مدام حمدي

- عاداتهم غريبة كيف تعودتِ عليها

- أنا في الأصل من الصعيد أنسيتِ ذلك

- فعلا، لأني تعودت عليك تتحدثين لكنتنا وأسلوب حياتك خارج الصعيد

- كان من الصعب المعيشة هناك ولكن محمد ساعدني على ذلك، خاصة بعد أن تحدثنا معا بصراحة في كل شيء كما أخبرتني، لقد وجدته شخصا آخر غير الذي تعرفت عليه في بداية زواجي، شخصا محبا هادئا، حسن المعشر، لقد أحببته

- هذا جيد، لقد استمعت إلى نصيحتك وعجلت بموعد الزفاف على أن يكون بعد شهر من الآن لقد حجز حمدي قاعة الزفاف فاخبري زوجك بالموعد ليستطيع المجيء

- حسنا سأخبره

- دعينا منهم الآن أخبريني عن حالك

- أنا الحمد لله في أحسن حال، أحب حمدي بشدة وكل يوم يمر يزيد من تعلقي به، وأتناول أدويتي بانتظام، فحمدي يتصل بي

عند موعد كل دواء لكي يضمن تناولي للدواء، ولكن لازلت خائفة من الزواج، لذا اشترطت على حمدي عدم الدخول بي حتى يمكنني ذلك

- نعم ما فعلت، صدقيني لن تندمي على الارتباط بحمدي فهو نعم الرجل ويحبك ويعلم كل شيء عنك، وأرادك كما أنتِ، فمن المؤكد أنه يستوعب حالتك ولن يخذلك أو يكرهك على شيء

- أتظنين ذلك حقا؟

- نعم أن على يقين من ذلك

ومضى لقاء ميار وعلياء، وعلى صعيد آخر كان لقاء محمد وحمدي:

- من الجيد اقتراحك يا محمد ترك النساء معا، فأنا لا أحب الاختلاط

- وأنا أيضا، من عاداتنا في الصعيد عدم الاختلاط وأنا تربيت على ذلك، كما أنني أغار على نساء الدار، لذا طلبت من زوجتي أن نتعرف على بعضنا البعض لصداقة زوجتينا معا، لنتركهما وحدهما ويكون بيننا شيء مشترك نتحدث به

- أحب صراحتك يا محمد، فأنا كذلك طلبت من خطيبتي أن نتعرف على بعضنا البعض لنتركهما على راحتيهما في المنزل ونخرج سويا، أو نتركهما وحدهما في النادي ونتحدث نحن وحدنا

- إذن فهناك شيء مشترك بيننا وهو الغيرة على نساءنا، أنا جدا سعيد بمعرفتك يا حمدي، في أي مجال تعمل

- أنا طبيب نفسي، أعمل في مصحة في النهار، وليلا لي عيادتي الخاصة، وماذا عنك؟

- أن أعمل مع والدي في إدارة الأرض والمزارع وتصدير منتجاتنا للخارج، وتوريد المحاصيل الأخرى لبعض المصانع في القاهرة وبعض الدول الأجنبية، وذلك بعد تخرجي في كلية الزراعة جامعة أسيوط

- أليس لك إخوة؟

- لي أخ أصغر لايزال طالبا في جامعة القاهرة، أراد الدراسة بعيدا عن الصعيد وهو متزوج من أخت زوجتي الصغرى

- علمت من خطيبتي أن لك أولاد

- نعم، لي فتحي وعليّ عمرهم الآن ثلاثة أشهر لا أدري

بالضبط كم شهرا عمرهما

- مبارك لك، رزقك الله برهم وجعلهم قرة عينك

- اللهم آمين

- لقد علمت أنك ستتزوج بعد شهر من الآن

- نعم، وأنت مدعو في حفل الزفاف

- بالطبع سأحضر، ولكن أنا أدعوك لقضاء بعض الوقت في دارنا في الصعيد، ولا تخف لا اختلاط هناك سيكون لك غرفة الضيوف وهي منفصلة عن الدار لك ولزوجتك كما سأدعوك لترى المزارع والأرض لدينا

- بالطبع سآتي لزيارتكم، فأنا أعلم أنه لا يوجد اختلاط لديكم كما أنني أحب جو الصعيد والخضرة الموجودة في كل مكان

- إذن سأنتظرك بعد أسبوع من الزفاف

- اتفقنا

لم يكن كل من حمدي ومحمد يعتقدان أن تكون هناك روابط مشتركة بينهما، وعندما كانت رغبة عدم الاختلاط والغيرة على النساء هي ما تجمعها، كانت خير رابط بينهما، فالرجولة

والغيرة على النساء هي خير رابط بين الرجال.

بعد مقابلة محمد مع حمدي، أخبر زوجته بسروره للتعرف بحمدي، لما وجده لديه من غيرة على أهل داره، مثل الغيرة التي يشعر بها هو تجاه أهل داره، وأخبرها بموعد زيارة حمدي وزوجته لهما لتعد لها من الآن. بعد أن عاد محمد مع زوجته من القاهرة بعد خطبة حمدي وميار، كانت والدته تستاء من كثرة سفره مع زوجته، خوفا على الصغار من الأمراض والإرهاق لكونهما لا يزالان صغارا جدا على السفر، فأخبرت ابنها بذلك:

- يا ولدي لا يصح أن تسافر أنت وزوجتك باستمرار هكذا، لابد من مراعاة وجود الصغار الذين يمكن ان يمرضوا نتيجة السفر المستمر وتغيير الطقس

- لا تقلقِ يا أماه، فهما ولدي وأخاف عليهما كثيرا، ولكن أم فتحي لاتزال عروسا جديدة ومن حقها عليّ أن تقضي أول زواجها فيما ترغبه، وعموما بقيت لنا سَفْرَةً واحدة فقط، وبعدها لن نسافر قبل مضي فترة طويلة

- يا ولدي والدك يشكو من الحمل الذي تضعه على عاتقه كلما سافرت

- والدي معتاد على سفري، فأنا أسافر كثيرا لقضاء مصالح

عمل والدي وليست المرة الأولى التي أسافر وأتركه يباشر أعمالنا، فما الذي يقلقك صراحةً

- أصدقك القول يا ولدي، كثرة سفر زوجتك لا تساعدني على تعليمها عادات الصعيد كما طلبت مني، وفي الوقت ذاته بدأت أختها تشعر بالغيرة من زوجتك، فأم ياسر لا تخرج من الدار حتى أسمح أنا لها بذلك، وأخوك مشغول بمذاكرته وامتحاناته، وهي لا تذهب إلى دار والدها إلا مرة كل شهر عندما أسمح أنا لها بذلك، أما زوجتك فلا تمكث معنا في الدار كثيرا حتى أسمح لها بما يجوز لها فعله

- لديك الحق في موضوع غيرة أختها، ولكن ذلك خطأ محمود، كان يستطيع قبل دخول الامتحانات أن يسافر مع زوجته، ولكنه حتى الآن يحملها ذنب عدم زواجه ممن يحب ويعاقبها عليه، أما أنا لا أجد سببا كي أعاقب أم فتحي عليه، فهي زوجتي وأم أولادي وتطيع كل ما أقوله، كما أنها تطيعك أيضا. أما فيما يخص أن تسمحي لها بما يجوز أو لا يجوز، فهذا شأني أنا، وأنا فقط من يحدده، دورك يكمن معها في تعليمها عاداتنا وتقاليدنا وكذلك لهجتنا كي تستطيع التحدث بها وترك لهجة أهل المدينة

- إذا كان ليس لي حكما عليها فهذا يعني أني ليس لي حكما على أختها، وهذا لن يحدث، فأنا سيدة الدار وكلامي سيف على رقاب الجميع

- يا أماه أنتِ أمي وأنا أطيعك ولكن زوجتي ليس عليها سوى طاعتي أنا، وهذه هي حياتي، هي تطيعك في شئون المنزل وتعلم عاداتنا ولكن أي شيء آخر فهو يعود لي

- كما تشاء

بعد أن أنهت نحمدو حديثها مع ولدها شعرت بالغيرة من زوجة ابنها التي جعلته لا ينصاع لكلامها كما كان سابقا، ترى أنه يدللها كثيرا وأن ذلك سوف يفسدها، لم تنس أنها تركت لهم الدار دون إذن وذهبت إلى دار والدها ومكثت هناك، ورغما عنهم حضرت ولادة أختها، وتذكرت نحمدو ما حدث من ولدها هناك، وكيف رد عليها وأسكتها تماما، ثم لهفته عليها رغم ما اقترفته ليجد لها طبيبا وقت المخاض، وتذكرت أن محمودا لم يحضر مخاض زوجته لوجوده في القاهرة وعودته بعد يومان من ولادة أم ياسر، وهو من اختار الاسم دون الرجوع لأحد.

قررت نحمدو أن تتعامل ببعض الشدة مع علياء حتى تتعود على عادات الصعيد وأن تجعلها تكثر من مساهمتها في شئون

المنزل، فهي تعلم أن إدارة المنزل من بعدها ستذهب إلى علياء لأنها زوجة العمدة وعضو مجلس الشعب، لذا أرادت أن تحضرها لهذا الدور بالشدة عليها كي تتعلم علياء الشدة في التعامل خاصة مع الخدم ونساء الدار لكي يكون كلامها سيفا على رقاب الجميع، لكنها لم تظهر ذلك أو تطلع عليه أحد حتى لا تعلم علياء سبب ذلك وتحضر هي نفسها بنفسها لإدارة الدار.

بعد حديث نحمدو مع محمد أرسلت واحدة من خدم الدار تطلب من علياء النزول لحماتها:

- كيف يا حالك يا أماه
- لأول مرة تقولي لي يا أماه
- أنتِ والدة زوجي وأصبحت الآن في منزلة والدتي
- أحقا تقولين؟
- أي والله، وأنا بالفعل اعتبرك مثلها
- لذا لا تستمعين لكلامي
- أبدأ، أنا أطيعك في كل شيء، ولكن انشغلت في التحضير للسفر بعد نفاسي مباشرة، وبعدها لحضور خطوبة صديقتي ميار التي حضرت لنا منذ فترة

- أستتزوج؟

- نعم ستتزوج بعد شهر من الآن بعد انتهائها من إكمال منزلها واحتياجاتها

- وهل ستسافرين لحضور الزفاف؟

- لا أعرف، إذا وافق محمد سنسافر وإذا رفض لن أسافر

- لا تقولي محمد، إنه أبو فتحي، لا تقولي اسمه هكذا دون لقب، فهذا عيب هنا في الصعيد

- حاضر، لن أقول اسمه وسأقول أبو فتحي

- والآن اذهبي مع أختك للإشراف على إعداد الغداء

- حاضر

ذهبت علياء لأختها للإشراف معها على تحضير الطعام، ووجدت حبيبة ساهمة بعض الشيء:

- ما بك يا حبيبة، أراك ساهمة واجمة

- لا شيء

- أتخفين عن أختك

- لا شيء ولكني متضايقة بعض الشيء فأنا لا أرى محمود تقريبا منذ الشهر، ولا يسمح لي بالمبيت عند والدتي

- هل استأذنتِ زوجك ورفض؟

- لا، إنه قال لي منذ أول يوم في زفافنا أن والدته هي من توافق وترفض، وأنا أرى أن زوجك يفعل العكس تماما، إنه بجانبك ويسافر معك ويتركك تذهبين لرؤية والدينا والمبيت هناك دون موافقة والدته

- العيب ليس في والدته ولكنه في محمود لأنه أوكلها بالتصرف، ولكن قد يكون ذلك لانشغاله بالدراسة ويمكن أن يتغير الوضع بعد انتهائها، فهو في السنة النهائية، ولا تنسي أن الزواج جاء سريعا على غير رغبة من الجميع، وأنه كان يرتب حياته بطريقة مختلفة وفجأة تغير كل شيء، حاولي التقرب منه عندما يأتي

- لن يتغير شيء، حتى في ولادتي جاء بعد يومين كاملين، وأشعر أن يحب ياسر أكثر من حبه لي

- الحب يأتي بالعشرة يا حبيبة، انتظري حتى ينهي هو دراسته وأعدك أن يتغير الحال

- آمل ذلك يا أختاه

- تفاءلي، أنتِ تعلمين كم كنت أكره محمدا ولكن بعد الولادة تغير كل شيء إنه شخص مختلف تماما عما كنت اعتقد

ولكني لم أدرك ذلك إلا بعد أن صارحته بكل ما لدي من مشاعر تجاهه وهو تغير في معاملته الجافة لي، كما تحدث مع والدته كي تحسن معاملتي، ومن الواضح أنها تفضلك عني

- أشعر بالفعل أنها تتعامل معي منذ بداية زواجي بطريقة أفضل من معاملتها لكِ، ولكني أرجع ذلك لأني أطعتها منذ اليوم الأول

- بالفعل، أنتِ لم تعترضِ على قرار لها منذ اليوم الأول كما لم تعترضِ عندما طلب منك محمود ترك دراستك

- لم أكن لأستطيع التوفيق بين رعاية ابني والدراسة خاصة أن حملي كان صعبا

وأثناء حديثهما شعرت علياء ببعض الغثيان مع مغص خفيف ولم تدرِ بنفسها إلا وهي فراشها، وبجوارها أختها وزجها وحماتها:

- محمد ماذا جاء بك الآن؟ وماذا حدث؟

- لا شيء لقد فقدت وعيك وأخبرتني والدتي والطبيب في الطريق

- ماذا حدث يا حبيبة لقد كنا نتحدث ولم أشعر بشيء

بعدها

- ألم أخبرك يا أم فتحي أن تنسي عادات القاهرة وتنادي على الجميع بألقابهم فأختك الآن أم ياسر

- آسفة يا أماه لقد نسيت ولكن ماذا حدث؟

- كما قال لك أبو فتحي لقد فقدتِ وعيك فأرسلت في طلبه وهو طلب الطبيب ليفحصك لنعرف سبب هذا الغثيان وخاصة أن أم ياسر قالت إنك شعرت أيضا ببعض المغص

- نعم، لقد شعرت ببعض المغص، لقد كان شديدا

ثم حضر الطبيب وكشف على علياء في حضور زوجها وأخبره أنه يشك في حمل علياء ولكن لابد من إحضارها للمستشفى للتأكد من ذلك وبالفعل في اليوم التالي ذهب محمد مع علياء للمستشفى وأجرت الفحوصات التي طلبها الطبيب

- خيرا ماذا بها؟

- زوجتك حامل في منتصف الشهر الثاني ولكن حملها ضعيف يحتاج للراحة حتى نهاية الشهر الثالث، هي أخبرتني أنها مرضع

- نعم إنها أنجبت منذ حوالي خمسة أشهر تزيد أو تقل

- لابد من فطام الأولاد، الرضاعة تمثل خطرا على الحمل
- ولكن الأطفال لا يزالوا في حاجة للرضاع
- إذن أحضر لهم من ترضعهم

ذهب محمد مع علياء للدار وأخبر والدته بما أخبره به الطبيب وكانت حبيبة معهم لتطمئن على أختها:

- لقد أخبرني الطبيب أن علياء حامل وحملها ضعيف تحتاج للراحة التامة وعدم الارضاع
- وماذا ستفعل يا ولدي ولديك لا يزالان في حاجة للرضاع
- سأبحث عمن ترضعهم
- ولماذا تبحث يا أبا فتحي فأنا موجودة وأستطيع إرضاعهما مع ياسر
- ولكن يا بيتي ألن يكون ذلك عبئا عليك
- لا أبدا، فهي أختي ولن يرضع طفليها سواي
- بارك الله فيك يا أم ياسر ولكن لابد من استئذان زوجك أولا
- أنا موافقة يا أبا فتحي على ذلك لا داعي من استئذان محمودا

- ولكنه زوجها ويجب أن يوافق

- لقد أوكل لي محمود حرية التصرف في غيابه

- بارك الله فيك يا ابنتي، تثبتين لي كل يوم أن اختيار زواج ابني منك جاء خيرا لنا جميعا

- الآن يا أبا فتحي لا داعي للسفر حتى تضع زوجتك مولودها

- وأنتِ يا بنيتي كيف لم تعرفِ بحملك، عندما تأخرت عادتك الشهرية

- أخبرتني والدتي أن ذلك شيئا طبيعيا في الولادة، كما أنني لم أعرف أني لابد لي من وسيلة لمنع الحمل بعد الولادة

- لا عليك يا بيتي، من الآن لا تغادري فراشك والطعام سيأتي لك في الفراش ورعاية فتحي وعليّ سأتكفل بها مع أم ياسر فلا تقلقي

- شكرا لك يا أماه، وشكرا لك يا أختاه على إرضاع طفلاي

- لا تشكريني فأنتِ أختي وكنت لتفعلي مثل ما فعلت

- فعلا

ذهبت علياء لغرفتها مع محمد، الذي خاف عليها بعد حديث الطبيب عن ضعف حملها وإمكانية أن يؤثر على صحتها، وساعدها في تغيير ملابسها والنوم في الفراش، وذهب ليكمل عمله. استاءت علياء من حملها وهي لاتزال مرضعا، وحرمانها من إرضاع ولديها وقربهم منها، ولكن ما كان يهون عليها حملها هذه المرة شعورها بحب حملها هذه المرة لأنه سيكون أول رابط بها بزوجها بعد أن عرف كل منهما الآخر، وتذكرت حملها الأول ورغبتها في إجهاضه حتى لا يكون هناك رابط يجمعها مرة أخرى بمحمد، ففرحت به بعض الشيء، واعتبرته تعويضا من الله لها حتى تشعر بفرحة الحمل من زوجها وتشهد خوفه عليها وعلى حملها.

اتصلت علياء بميار تخبرها خبر حملها ورغبة الطبيب في ألا تغادر الفراش إلا للضرورة، ومدى فرحة محمد بهذا الحمل وفرحتها هي أيضا به، ونقص هذه الفرحة لعدم إمكانيتها إرضاع أولادها، ووعدتها ميار بزيارتها كما هو متفق عليه بعد زواجها من حمدي لتراها وتطمئن على صحتها.

مر الشهر وتزوجت ميار من حمدي، كانت تخاف من لحظة دخولها منزلها، وجاءت تلك اللحظة التي تخاف منها وبمجرد

دخولها من باب منزلها رأت أمامها عماد وما فعله بها ولم تشعر بنفسها إلا والأرض تميد بها. أفاقت لتجد نفسها لاتزال بفستان الفرح كما هو وحمدي يجلس على كرسي بالقرب منها

- حمدي ماذا حدث؟ ولماذا أنا في الفراش

- لقد فقدت وعيك بعد أن دخلنا من باب المنزل فحملتك للفراش وحاولت إفاقتك، ماذا حدث لذلك؟

- لا شيء

- ميار قولي لي الحقيقة فأنا طبيب وأعرف أن ما مر بك صدمة عصبية

- لقد رأيت فجأة عماد أمامي وما حدث ليلة الزفاف

- لا عليك، أنا لست بعماد، كما أنني اتفقت معك أني لن أمسك قبل قبولك لذلك

- لا أعرف ماذا حدث وشعرت بالخوف عندما وجدتني في الفراش فنظرت لنفسي فإذا بي لازلت بفستاني كما هو وأنت على الكرسي

- لم أشأ أن أكون معك على الفراش حتى لا تفسري ذلك بشيء آخر

- أنا آسفة يا حمدي، ما حدث لا يد لي فيه

- لا تأسفي لقد توقعت خوفك، ولكن لم أتوقع أن يصل لهذه الدرجة، هل تحبي أن أنام بجانبك على الفراش أم أنم في غرفة الضيوف؟

- لا أعلم، ولكن لنجرب أن تستلقي بجانبي ولنرى ماذا سيكون تأثير ذلك عليّ

- لا عليك، فأنا أقدر المشاعر المختلطة التي تشعرين بها، سأنام في غرفة الضيوف حتى تعتادي وجودي معك، ولكن ذلك سيكون حتى تعود أم حامد من إجازتها بعد ثلاثة أسابيع

- حسنا، أنا آسفة مرة أخرى

- لا تأسفي أنا مقدر الحالة النفسية لك أنسيتي أني طبيبك المعالج، سأغير ملابسي في الحمام وأنتِ غيري ملابسك هنا ونامي على راحتك سأنام في غرفة الضيوف أعلم أن اليوم كان مرهقا لكِ

ترك حمدي ميار كما قال وذهب ليغير ملابسه في الحمام وتركها في غرفتها على راحتها، كان ذلك صعبا عليه كزوج ولكنه كطبيب كان مقدرا لذلك، حبيبة قلبه معه في بيت واحد ولكنه لا يستطيع أن يقربها أو حتى يأخذها في حضنه، قريبة هي وبعيدة في

آن واحد، تتنازعه مشاعره، ولكنه التزم بوعده لها.

أما هي فكانت تنتابها مشاعر مختلطة ما بين حبها لحمدي وخوفها منه، رغبتها في الاستلقاء في حضنه ونسيان العالم فيه، وخوفها من ذلك الحضن ومن القرب لحمدي، رغم وجودهما في بيت واحد هو قريب وبعيد عنها، لا تدري ماذا تفعل، وماذا سيكون رد فعل والدته عنما تأتي وتجده في حجرة الضيوف.

عندما أتى الصباح لم ينم كل منهما مستغرقا في تفكيره، وجدت حمدي يستأذنها في الدخول، لكي يعلق ملابسه التي تركها معه في غرفة الضيوف، وعندما صارحته بخوفها من معرفة أن ولدها نام في غرفة الضيوف طمأنها أنه قام بتوضيبها وتنظيفها فلا أثر هناك لمبيت أحد.

عندما وجدت تلك التصرفات من حمدي شعرت برغبتها في المكوث في حضنه أكبر من خوفها منها:

- حمدي ممكن أن أطلب منك شيئا
- بالطبع، ماذا تريدين؟
- أريد أن تأخذني في حضنك، أحتاج لذلك بشدة

بالفعل حضنها حمدي شعر أنه نسى العالم في هذا الحضن،

وشعرت هي بالأمان الذي افتقدته مع عماد، وتذكرت أنه لم يحضنها طوال فترة زواجهما، كان يأخذ حقه غصبا دون إرادتها ولم يفكر في التمهيد لذلك، تذكرت أنها الآن في حضن حبيبها وقررت أن تنسى عماد بكل ما فعله وكذلك الماضي. لم يدرِ أي منهما كم مكث هذا الحضن، الذي شعر معه حمدي بشدة الرغبة في أن يقبلها ولكنه أمسك عن ذلك حتى لا يخذلها واكتفى بالحضن الذي طلبته وعندما شعر بطول الوقت خاف عليها أن تكون قد فقدت وعيها مرة أخرى:

- ميار هل أنتِ بخير؟

- أنا بخير، لأول مرة أشعر بالأمان لا أريد أن أترك حضنك

- وأنا أيضا لا أريد أن تخرجي منه، أشعر أني أمتلك العالم وأنتِ في حضني

- وأنا لأول مرة أشعر بالأمان في وجود رجل في حياتي ووجودي في حضنه الآن

واضطر كل منهما لترك الآخر بعد أن جاء المهنئون للمباركة للعروسين من أصدقاء ميار في العمل وزملائها، كما حضرت والدة حمدي وأهله للمباركة للعروسين على زواجهما ووجد حمدي علامات الحزن على وجه والدته فاستئذان للانفراد بها،

علم منها أنها كانت تود أن تطمئن عليه وعلى عروسه ولكن عروسه ليست بكرا للاطمئنان عليها وعلى ولدها، طمأنها حمدي أن كل شيء على ما يرام ولا يوجد شيء في كون عروسه ثيبا، فلابد من الاطمئنان عليها هي أيضا، بعد ذلك ذهب حمدي ووالدته للانضمام للمهنئين من العائلة.

لاحظت علياء علامات الحزن البادية على حماتها، وتغيرها بعض الشيء بعد الحديث مع حمدي، ولكنها تشعر بعدم فرحتها لزواج ابنها، إنها حاسة الأنثى وغريزتها التي تجعلها تعرف مشاعر من أمامها.

بعد انصراف المهنئون صارحت ميار زوجها بما لديها من مشاعر تجاه رفض والدته لها، فطمأنها حمدي وطلب منها عدم الخوف من والدته التي ستعتاد وجود ميار في حياته، وستعتاد عليها بالعشرة ومعرفة كل منهما بحقيقة الأخرى التي تسبب خوف كليهما من بعضهما البعض.

مر الأسبوع وجاء موعد زيارة علياء ومحمد، ولايزال حمدي لا يستطيع سوى حضن زوجته ولا أكثر من ذلك، ووصلا دار العمدة حيث يقطن محمد وزوجته ورحبت بهما نحمدو ومحمد وكانت علياء لاتزال في الفراش ممنوعة من الحركة رغم

مرور شهرها الثالث، لأن الطبيب يرى خطرا في حركتها على الحمل

- أهلا بالعروسين
- أهلا بك يا محمد
- هذه والدتي أصرت على الترحيب بكما والمباركة
- أهلا يا أماه
- أهلا بك يا ولدي، يشرفنا وجودك مع زوجتك معنا، لقد أعددت لكم كل شيء، مبارك زواجكما يا ولدي
- شكرا لك يا أماه
- سيريكم محمد غرفتكما، وبعدها تحضرا معنا لتناول الطعام
- شكرا لكم جميعا، أين أخت أم فتحي
- إنها تشرف على إعداد الطعام، تعالي معي يا بنيتي لتريها وتسلمي عليها
- وأنت يا حمدي هيا بنا أريك غرفتك
- شكرا لك يا محمد على الاستضافة
- لقد أصبحنا أصدقاء ولا داعي للشكر، غيّر ملابسك

وهلم إلى الطعام ثم ارتاح من السفر أعلم أنه متعب

- ليس لهذه الدرجة لقد نمنا في السيارة التي أرسلتها لنا لتأخذنا من المنزل، لا أعرف كيف أشكرك على نبل أخلاقك

- أنت ضيف وإكرام الضيف واجب، وفوق ذلك أنت صديقي وهذا له إكرام زائد

ترك محمد حمدي ليغير ملابسه بعد أن أحضر أحد الخدم حقائب سفر حمدي لغرفته، وطلب محمد ليعرف كيف يتحرك، فذهب له محمد وأخبره عن الأماكن التي يتحرك فيها بحرية والأماكن التي لا يجوز له دخولها. لم يغضب حمدي من ذلك، بالعكس رحب بمحمد وغيرته على أهل بيته، وعلم أن من يغار على أهل بيته لهذه الدرجة ويكون بأخلاق محمد لن ينظر إلى نساء غيره، وسيحافظ عليهن كما يحافظ على أهله. أحب محمد تقبل وترحيب حمدي بهذه الغيرة على أهل البيت وعلم أن من هو مثل حمدي سيغض النظر عن أهل الدار حين يجتمعون. بالطبع لن يحدث الاجتماع إلا في تناول طعام الغداء في أول يوم فقط بعدها سيكون حمدي مرافقا لمحمد وسيكون تناول الطعام للنساء وحدهم في غرفة وللرجال في غرفة أخرى.

أما ميار فذهبت مع حماة علياء لتسلم على حبيبة وتطمئن

على أحوالها، فهي تسمع عنها كثيرا من علياء كما أنها تعرفت عليها بشخصها عندما زارت علياء من قبل، بعد ذلك طلبت ميار من حماة علياء رؤية صديقتها والاطمئنان عليها، وذهبت لها بالفعل، وتحدثا سويا عن الكثير من الأمور

- كيف حالك يا علياء؟

- الحمد لله بخير

- ألا يمكنك حتى الآن مغادرة الفراش؟

- لقد أخبر الطبيب محمدا أن الحركة تمثل خطرا على صحتي وعلى الحمل

- ألهذه الدرجة؟

- الحمل ضعيف كما يقول الطبيب، مع ضعفي نتيجة الحمل السابق والولادة القيصرية التي بم يمر عليها سوى بضعة أشهر

- ولماذا لم تحتاطِ لحدوث حمل؟

- لم أعرف ذلك إلا بعد أن سألتني والدتي عن استخدام وسيلة أم لا، فأخبرتها بعدم استخدامي أية وسائل وقالت لي أنه لابد من تركيب وسيلة بعد مرور فترة النفاس، ولكني تساهلت في

ذلك لمعرفتي أنه لن تكون هناك علاقة مع زوجي قبل فترة طويلة، لم أكن أعلم أني سأقوم بذلك، ولكن لم أشعر بنفسي إلا وقد حدث، كان ذلك مباشرة عقب النفاس ولم تأتني دورتي الشهرية وعندما أخبرت والدتي قالت لي أن ذلك أمر طبيعي ولكنه كما رأيتِ ليس طبيعيا بالمرة، وماذا عنك أنتِ وحمدي؟

- لا شيء جديد كما أخبرتك سابقا عن اتفاقنا لم يتغير شيء سوى أن سمحت لنفسي وله أن يحضنني فقط، أشعر بالرغبة في المزيد ولكني أخاف، أخشى أن يتحول لشخص آخر

- لازلت يا ميار تعيشين في الماضي اتركي الماضي واتركي لنفسك العنان في العلاقة مع زوجك هو ليس بعماد هو حمدي الذي يحبك وتحبيه، هو من يخاف عليك

- لا أستطيع يا علياء، حتى الآن لا ننام في نفس الغرفة، فهو ينام في غرفة الضيوف وأنا في غرفة النوم الرئيسية

- وكيف ستنامين هنا والغرفة بها فراش واحد فقط

- لا أعلم إنها ستكون المرة الأولى التي يغفو فيها حمدي معي على نفس الفراش، وأخاف منها كذلك

- كثرت مخاوفك يا ميار وقد تؤدي كثرتها لنفور حمدي منك، قاومي مخاوفك واتركي لنفسك العنان لكي تعيشي،

لازلت في شبابك فلا تضيعي الوقت الذي ستندمين عليه بعد ذلك، ألم تشتاقِ كي تكوني أما، أن تلدي طفلا يكون خليطا منك ومن والده، طفلا يربطكما سوية، يكون قطعة من كل منكما

- أريد ذلك بشدة كلما حملت طفلا في يدي وعندما أرى الأطفال يلعبون ويلهون

- وكيف السبيل لذلك إذا لم تتركي العنان لنفسك لتنهل من عسل العشق الذي تشعران به

- سأحاول جاهدة

- أخبري حمدي بمخاوفك وصارحيه وأطلبي منه مساعدتك وليس الصبر فقط

- سأفعل

- والآن اذهبي لتغيير ملابسك لكي تتناولِ طعام الغداء ثم تستريحي من عناء السفر

استجابت ميار لكلام صديقتها، وذهبت لغرفة الضيوف بعد أن أرسلت معها نحمدو احدى الخدم لتدلها على المكان، وذهبت بالفعل إلى هناك، لم تجد حمدي فغيرت ملابسها واتصلت به تستفسر عن مكانه فأخبرها أنه مع محمد وسيأتي في

موعد الغداء. كان الموعد قريبا بعد مرور ربع الساعة على مكوثها في غرفتها جاءت لها حبيبة تدعوها لتناول الغداء بعد أن أخبرهم محمد أن حمدي ليس هناك وأن ميار وحدها وبالتالي لابد من أنثى لتدعوها للغداء فأرسلت نحمدو حبيبة لأنها قريبة من ميار، وتناول الجميع الغداء ثم ذهب حمدي مع ميار لغرفة الضيوف.

- أنا آسف يا ميار ولكن لا يوجد سوى فراش واحد لكلينا للنوم عليه

- لا تأسف هذا أمر طبيعي أن يكون هناك فراش واحد لكينا

- أخاف عليك أن تتعبي

- لن أهدر المزيد من الوقت في الخوف، أنا أخاف من كل شيء، كنت أخاف من حضنك ولكني وجدته أكثر الأماكن أمانا، وأخاف أن أتمادى أكثر من ذلك، ولكن في الوقت ذاته أشعر أنه سيكون أفضل من مجرد حضن، أخاف وأحتاج إليك لتساعدني على التغلب على مخاوفي وليس مجرد الصبر، فالصبر سيبقي على الخوف وما أحتاج إليه كما قلت لي سابقا مواجهة مخاوفي فساعدني على ذلك

- سأساعدك ولكن في البداية يجب أن تكون لديك الرغبة في التغيير فعليا، دونها سيزيد تعبك ولن يختفي، أعدك بالمساعدة

وارتمت في حضن حمدي وانهارت في البكاء، بكاء جاء نتيجة لتضارب مشاعر الحب مع الخوف ورغبتها في التخلص من تلك المخاوف من طرح الماضي جانبا والبدء من جديد.

فرح حمدي من رغبة ميار أخيرا في مواجهة مخاوفها وقرر البدء تدريجيا في مواجهة تلك المخاوف وقرر أن يكون نومها على فراش واحد دون علاقة هو البداية إلى أن تعتاد أن تنام في حضنه، كم يشتاق هو لحضنها، يحلم أن تنام جواره وأن تنام وهي مستلقية على ذراعه.

وبالفعل واجهت ميار أولى مخاوفها وهو النوم في ذات الفراش مع حمدي، أصر هو على حضنها وهي الفراش ليطمئنها من ذلك دون أن يتمادى أكثر من مجرد حضن اعتادت هي عليه، وقررت هي الانصياع له وترك مشاعرها لتخرج للعلن، للمرة الثانية تشعر بالأمان لمجرد وجوده بجانبها ندمت على تلك الفترة التي كانت تنام فيها وحدها، شعرت بافتقادها الأمان الذي تشعر به الآن، لم ينم حمدي خوفا عليها من إصابتها بأية نوبة هيستيرية فظل متيقظا، وهي أيضا ظلت متيقظة

- لازلت متيقظة، هل هناك خطب ما؟

- لا أبدا ولكن أعنف نفسي على ما فات

- لا تفعلي ذلك، ما فات أصبح من الماضي فاطرحي الماضي جانبا وامضي قدما

- أندم على الوقت الذي مضى من زواجنا ولم أنم بجانبك واستلقي في حضنك على ذراعك، لقد صدقت علياء عندما أخبرتني أنك غير عماد

- هل تعلم علياء باتفاقنا؟

- نعم

- تغير وجه حمدي إلى الغضب: "اتفاقنا هذا كان سرا بيننا وليس من حقك اطلاع أحد عليه"

- أنا آسفة ولكنك تعلم أن علياء صديقتي الوحيدة وتعلم كل أسراري

- من الآن تعلمي أن هناك أسرارا لا يجب أن يعرفها سوانا، لا يتكرر ذلك مرة أخرى

- أنا آسفة أعدك ألا يتكرر

- وماذا قالت لك علياء؟

- قالت لي أن أقاوم مخاوفي ولا استسلم لها، وأن أطلب منك المساعدة لا الصبر، أن أصارحك بكل ما يعتمل في صدري، بكل ما أشعر به حتى تساعدني ولا تسأم الانتظار

- حسنا قالت، لم أكن لأتخذ خطوة دون أن تطلبيها، خوفا من ردة فعلك عليها، أما الآن فالحال مختلف سأتخذ أنا الخطوات ولكن بهدوء حتى تتعودي على مهل على زواجنا

- يا حمدي أنا أحبك وأشتاق إليك كزوج ولكن الخوف ورؤية ما حدث سابقا تقف مانعا لي وحائلا دون مروري منه، أحتاج لمساعدتك لكي أترك احتجازي في الماضي، لقد عالجتني بالفعل ولكني لم أستطع تجاوز الماضي بكل أشكاله، حتى الحجاب لولا أن أصررت عليه بإعطائي الكتب التي تتحدث عنه وإعجابك بملابس المحجات في المحال التجارية التي كنا نمر عليها عندما نخرج سويا، هي ما شجعتني على هذه الخطوة ونسيان إجباري عليه سابقا، شعور آخر انتابني وأنا أقرر أن ارتديه، شعور بالرغبة مني في ذلك، لذلك غيرت أسلوب ملابسي ولبست ملابس تليق بالحجاب فعليا، وشعور وأنا في حضنك جعلني أنسى العالم وأشعر بالأمان، وها أنا الآن أشعر بأمان أكثر وأنا في حضنك أنا إلى جانبك، أشعر أنه لا أحد يمكنه أن يؤذيني

الآن

- بالفعل لا أحد يستطيع أن يؤذيك وأنا هنا معك، أنتِ في أمان معي طالما أنتِ زوجتي وحبيبة قلبي لن يستطيع أحد أن يؤذيك سأكون له بالمرصاد، أنتِ في أمان سواء كنت حاضرا أم لا

احتضنته ميار بشدة وقابل هو ذلك بأخذها أكثر في حضنه ورغم تحرك شهوته تجاهها سيطر عليها ولم يبدها لها، يعلم يقينا أن هذه الخطوة ليست بالهينة وأنها تحتاج لمقدمات كثيرة تجعلها هي من تطلبها وتستمتع بها. مر الأسبوع واضطر حمدي للذهاب للقاهرة لتحضير نفسه للعمل، تقرب في تلك الفترة من محمد وأعجب به بشدة بأخلاقه وأسلوب تعامله حزمه وطيبته معا، ووعده حمدي بحضور ولادة علياء.

مرت فترة شهر العسل، ثلاثة أسابيع مروا على ميار كثلاثة ساعات أو أقل، اعتادت حضن حمدي والنوم إلى جانبه، ووجد حمدي أنه جاء موعد الخطوة التالية وهي تقبيلها، يعلم أنها خطوة صعبة ولكنها خطوة ضرورية للخطوة التالية، وهي لقاء الحب.

بعد جاء حمدي من العمل هو وعلياء كانت أم حمدي قد حضرت طعام الغداء، تناولا طعامها واحتسيا بعده الشاي وأذن حمدي لأم حامد في الانصراف مبكرا من العمل وأخذ ميار في

حضنه فاستجابت له وبدأ في تقبيلها، في البداية حاولت الهروب فطمأنها أنه لن يأخذ سوى قبلة، وقبلها ثانية، شعر فيها بخوفها رغم عدم مقاومتها، فأخذها في حضنه دون تقبيل، وذم يده قليلا كي تشعر به ميار وبقربه منها، وحاول مرة أخرى، في هذه المرة بدأت تستجيب له ثم تركت لنفسها العنان في تقبيله، واشتعلت رغبتهما سويا ولم يشعرا بشيء حتى صرخت ميار بعدما انتهى منها حمدي وارتوت منه.

- ماذا بك يا ميار؟

- وهي تبكي: "لا أعرف وجدت عماد أمامي فجأة وهو يأخذني"

- لا تخافي، إنه عرض طبيعي هلمِّي إلى حضني وانسي كل شيء

بالفعل تركت ميار نفسها في حضن حمدي وهي تبكي وهو يطمئنها، بقدر فرحه من زواجه الفعلي منها على قدر حزنه مما أصابها، قرر أن يتوقف عن ذلك فترة، هو يعلم أنها أفضت شهوتها كاملة وارتوت حتى اكتفت، وهو أيضا ارتوى حتى اكتفى، ولكنه يرى أنه تسرع في هذه الخطوة كان يجب عليه أن ينتظر قليلا حتى تتعود التقبيل، ولكنه شعر براحة عندما احتمت به من مخاوفها،

عندما ارتمت في حضنه وهي تبكي حتى استكانت ونامت، علم أنها ستمر بأسوأ كوابيسها لذا اتصل بالصيدلية وطلب مهدئا لها كي يهدئ أعصابها. وبالفعل حدث ما توقعه وأعطاها المهدئ وتركها تنام، شعر بتأنيب الضمير لما أصابها ولكنه راجع نفسه بأن ذلك كان سيحدث حتما حتى لو لم يتسرع في تلك الخطوة، ظل عاكفا بجوارها وهي في حضنه حتى استفاقت، كانت تبكي دون إرادة منها، وأخبرت حمدي بذلك وطمأنها أنها بخير وأخذها في حضنه أكثر وذم حضنه عليها حتى سكنت وهدأ بكائها، تأسفت واعتذرت عما حدث منها، فأخبرها حمدي أنه تسرع في ذلك الأمر وما كان يجب عليه الاستمرار اكثر من التقبيل حتى تعتاد عليه، وصارحته أن رغبتها هي من حركتها للتمادي أكثر من التقبيل ولكنها لا تدري سببا لما حدث لها بعد ذلك، طلب منها حمدي عدم التفكير مجددا في ذلك الموضوع وألا تعطي له أهمية.

ومر شهرا على ذلك الموضوع اكتفى فيه حمدي بتقبيل زوجته ولم يتمادى أكثر من ذلك، بدأت تظهر على ميار بعض الأعراض غير الطبيعية مثل القيء المستمر وعدم الرغبة في الطعام والغثيان، فسرها حمدي أنها مرحلة اكتئاب تمر بها نتيجة صدمة

لقاء الحب الذي جمعهما معا، ولكن هذه الأعراض استمرت لمدة أسبوعين رغم تعاطيها أدوية مضادة للاكتئاب، فأصر على ذهابها للطبيب لفحصها، فذهب إلى طبيب امراض باطنة صديق له في المستشفى –حيث لم يكن له عيادة مستقلة بعد –ليعلم سبب القيء المستمر، خاف أن يكون سبب ذلك أي اضطراب بسبب الأدوية. بعد الفحص والأشعة تأكد الطبيب من حمل ميار، وأخبر حمدي بذلك، وطلب منه وقف الأدوية المضادة للاكتئاب وعرضها على طبيب أمراض نساء وتوليد ورشح له طبيبا.

وبعد أن عادا سويا للمنزل، كان حمدي خائفا من ردة فعل ميار، وخائفا من احتمال إصابتها باكتئاب الحمل وما بعد الحمل، وخوفه من ضرورة وقف تناولها لأدويتها، فأراد الاطمئنان عليها:

- ميار هل أنتِ على ما يرام؟
- الحمد لله أنا بخير
- كيف لم تعرفِ بحملك؟
- الغثيان أمر طبيعي بالنسبة لي بعد تناول الأدوية، وأحيانا تجعلني لا أرغب في الطعام، الشيء الزائد على ذلك كان القيء،

وفي بداية تناولي للدواء كان القيء ملازما لي، وبالتالي فلا جديد بالنسبة إليّ

- إذن فلا أدوية بعد الآن سوى التي يوافق عليها طبيب النساء، لقد تحدثت معه وحجزت موعدا يوم غد، ولابد لكِ من وقف التدخين لأنه يضر بصحتك وصحة الجنين

- لا داعي للتدخين، كنت أدخن بشراهة بسبب ما أحياه والمشاكل التي مررت بها، وبعد زواجنا قللت منها لعدم قدرتي على الإقلاع عن التدخين، والآن لصحة طفلنا لن أدخن ثانية ساعدني في الإقلاع عن التدخين نهائيا

- أحقا أنتِ فرحة بحملك؟

- لأول مرة أشعر بالفرحة لخبر حملي، سيكون لنا طفل قطعة منا نحن الاثنين، أحمل في أحشائي قطعة منك، أنت لا تدري كم هي فرحتي الآن

وارتمت ميار في حضن حمدي، ونست العالم كله وتذكرت فرحتها بحملها، وبالفعل أقلعت عن التدخين نهائيا، واعتادت العلاقة مع حمدي بعد أن وجدتها على العكس تماما من علاقتها مع عماد وتيقنت أن عماد نموذجًا شاذًا عن الرجال واعتبرت حمدي نموذجًا شاذًا أيضا ولكنه نموذجًا فريدًا من نوعه تحمد

الله على زواجها منه.

في ذات الفترة تزوج ابن أم حامد من زميلة له في عمله "كاشير" في أحد محال الطعام، لم يستطع حتى بعد زواجه الانتظام في العمل وكان يعتمد على عمل زوجته والمساعدة المالية من والدته، خاصة بعد حمل زوجته عقب الزواج مباشرة، وتزوجت كل من بتول وبدور من أبناء عمومتهما. بعد زواج البنتين طلبتا من والدتهما عدم العمل، على أن يتكفلا بالإنفاق عليها ولكنها رفضت؛ فهي لم تتعود على أن ينفق عليها أحد، اعتادت أن تكسب لقمتها من تعبها، من عملها، رغم أن الضغط عليها في الإنفاق قد ولى إلا أنها ما زالت تحب أن تعمل وتتعب في عملها كي تستحق راتبها، وظلت أم حامد تعمل لدى ميار وترعى طفليها، حتى بعد أن قررت ميار ترك العمل للتفرغ لتربية طفليها.

في أسيوط..

مر على حمل علياء خمسة أشهر ولاتزال في الفراش غير قادرة على مغادرته، وتتحمل أختها إرضاع الأطفال ورعايتهم مع حماتها، لقد رأت حسن معاملة من حماتها في تلك الفترة واهتمامها بها، وأيقنت أن حماتها طيبة مثل محمد ولكنها شديدة صارمة مثله لا تظهر الطيبة إلا في وقتها وليس دائما، كانت تلعب مع طفليها وفي راقدة في الفراش، وتسأل أختها عن حالها بعد رجوع محمود للصعيد ومشاركته مع محمد في إدارة أعمال والده، ووجدت أن حاله من إهمال حبيبة كما هو فقررت أن تتحدث مع محمد في ذلك الشأن لينبه أخيه بما يجب عليه فعله مع زوجته، وبالفعل تحدثت مع محمد الذي وعدها بالحديث مع أخيه في ذلك الموضوع.

وبعد انتهاء الأعمال طلب من محمود الانتظار ليتحدث معه في موضوع هام:

- خيرا يا أبا فتحي

- كل الخير يا أبا ياسر، أريد أن أتحدث معك في شأنك مع زوجتك

- هل اشتكت؟

- ليست في حاجة أن تشتكي ونحن نرى بأم أعيينا معاملتك لها، لماذا تصر على معاقبتها على عدم زواجك من غيرها، لماذا لا تحسن عشرتها، إنها ابنة أصول لذلك لا تشتكي

- وكيف أعاملها؟

- اهتم لشأنها كما تهتم بولدك؛ فهي أم ولدك أيضا

- أليست هي من قالت لهم عن زواجي من أخرى؟

- زواجك من زميلتك في الكلية كنا جميعا نعرفه، فلا فرق إن أخبرت والديها عقب إخبارك لها أم بعده فالنتيجة واحدة، كما أنك كنت قاسيا معها أن تبلغها ذلك يوم زفافكما، ألم تصبر حتى تكمل أسبوعها في بيتك ثم تخبرها، أو كنت تخبرها قبل زواجك بفترة كي تأقلم نفسها على هذا الوضع، أنت الملام في ذلك وليس هي، من حقها أن تستغيث بوالديها بعد أن كسرتها منذ أول يوم

- وما حدث بعد ذلك هو قرار عدم زواجي عليها، أليست هي الملامة على ذلك؟

- لا ليست هي، الملام على ذلك هو أنت ورغبتنا في دخول عضوية مجلس الشعب عائلتنا، كان من الممكن أن ترفض وتعتمد على نفسك في الانفاق ولكنك اخترت أسهل الحلول أن

تتزوجها حتى يستمر والدنا في الانفاق عليك، حتى بعد أن تزوجتها ورفض المأمور الزواج لم تتمسك أنت بمن تحب واخترت أسهل الحلول أن يستمر زواجك بها ليستمر والدنا في الانفاق عليك، أنت الملام وأنت الأناني في ذلك

- أنا لا أخطئ في حقها

- لقد أخطأت عندما تركت والدتنا تتحكم بها، ولم تهتم بها كما تهتم بياسر إنك تحبه ولا تحبها، نعم اقتربت منها بعض الشيء بعد علمك بحملها وإنجابها ولدك، ولكنه اهتماما ليس بكافي، لماذا لا تسافر معها لتقضيا وقتا سويا دون الأهل، قل لها كلمات شكر وثناء، مفتاح المرأة أذنها، ء أنا من يخبرك عن معسول الكلام وأنت من عاش سنوات الجامعة في القاهرة، أحسن إلى زوجتك وأحسن عشرتها يبارك لك الله

- حسنا سأفعل

- انتظر أن أرى ذلك

وعاد كل منهما للدار وبدأ محمود يفكر فيما قاله أخوه، ووجد أنه بالفعل يتعامل مع حبيبة كما يتعامل مع زميلة في الجامعة وربما أقل من ذلك؛ فأراد أن يحسن من معاملها لها، ولكن لم تكن لديه الشجاعة الكافية للاعتذار لذا بدأ بالفعل في

تحسين معاملته والاهتمام بها، وسمح لها بالمبيت لدى أهلها إذا أرادت ذلك. شعرت حبيبة بتحسن علاقتها مع محمود، وقالت ذلك لأختها، وأخبرتها بسعادتها لذلك، لم تعُد حماتها هي المتحكمة بها، بل اهتم زوجها بطلباتها، وقد كانت تلك الطلبات بسيطة جدا، لم تطلب سوى أن ترى والديها مرة كل أسبوعين، تطمئن عليهما وأن تبيت معهما، وكانت تأخذ الصغار الثلاثة معها إذا ذهبت لزيارتهم والمبيت معهم حيث كان محمود يوصلها بالعربة حتى دار والدها ويعود ويأخذها من هناك.

دخلت علياء في شهرها السابع وشعرت بآلام حادة جعلتها غير قادرة على كتم الصراخ، لم تتوقع أنها آلام المخاض لأنها لاتزال في شهرها السابع، صعدت لها على الفور حماتها وأختها، واتصلت حماتها بمحمد وطلبت منه سرعة المجيء للذهاب بزوجته للمستشفى لأنها تلد. تذكرت نحمدو صعوبة ولادة علياء الأولى واضطرارها أن تلد قيصرا فخافت عليها إن ولدت قيصريا في تلك المرة

جاء محمد وأخذ للعلياء للمستشفى صارحه الطبيب بخطورة الحالة وقال له أن هناك احتمال لفقد الأم أو الجنين وخيره بينهما فاختار محمد سلامة زوجته وكتب تعهدا بذلك، في

غرفة العمليات نزفت علياء بشدة ومات الجنين أثناء الولادة القيصرية؛ فأسرع الطبيب يسألهم عن متبرع بالدم فوافقت فصيلة علياء فصيلة دم محمد فتبرع لها بدمه وأُنفذت علياء ولكن الجنين توفى. حزن محمد على وفاة الجنين الذي علم أنه ذكرا، ولكنه سعد في نفس الوقت لنجاة زوجته وقال في نفسه أن الجنين يعوض أما علياء لن تعوض.

أفاقت علياء من التخدير فوجدت محمد بجانبها ومعه أختها وحماتها، فسألت عن ولدها، وعندما أخبرها محمد بوفاة الجنين ظلت تصرخ وتبكي مما فطر قلب حماتها عليها، ولأول مرة أخذتها في حضنها لتواسيها عن فقد ولدها. شعرت علياء في ذلك الحضن من حماتها بالحنان الذي تشعر به مع والدتها وقربها ذلك أكثر من حماتها. وبعد الاطمئنان على علياء ذهب محمد لكي يدفن صغيره، كم كان صعبًا عليه فعل ذلك، من الصعب على الأب أن يدفن ولده، اعتاد الجميع أن يدفن الابن أباه، أما العكس فهو صعب للغاية.

عندما علمت ميار بما حدث لعلياء وطلبت من حمدي السفر لصديقتها لمواساتها، فطلب منها حمدي التريث في ذلك الأمر لأن السفر قد يكون خطرا على حملها وهي في شهرها

الخامس، وأن تسأل الطبيب قبل أن تأخذ قرار السفر. رفض الطبيب السفر هذه المسافة الطويلة وطلب منها الانتظار حتى موعد الولادة، أخبرت ميار علياء بذلك ونصحتها علياء بطاعة أوامر الطبيب حتى تلد بسلام.

كانت حالة علياء النفسية سيئة، ولكن كل من في الدار وساها على فقد ولدها، هم حزنوا لذلك أيضا خاصة أن المولود كان ذكرا، ولكنهم انصاعوا لرغبة محمد في حياة علياء عوضا عن الولد، مرت فترة حزن علياء بسلام عليها وعلى صحتها وبدأت في مباشرة أعمال الدار مع حماتها وأختها لتنسى ما فقدته وعادت ترضع صغيريها من جديد، طلب منها محمد وضع وسيلة لمنع الحمل حتى تسترد صحتها ويكبر الصغيرين أو على الأقل أن يكملا عامهما الأول، وافقته علياء على ذلك وبالفعل ذهبت لوضع وسيلة لمنع الحمل آمنة على الرضاع، ومر الوقت وجاء موعد ولادة ميار واستأذنت محمد في السفر إلى القاهرة لترى صديقتها، وافق محمد على ذلك حتى تستطيع علياء نسيان فقدها لولدها.

في القاهرة..

سافر محمد وعلياء للقاهرة وزارت علياء صديقتها في المستشفى وذهب محمد مع حمدي للمقصف ليتركا الصديقتين سويا

- مبارك عليك عمّار وبسملة

- بارك الله لك، وأدعو الله لك أن يعوض عليك ما فقدته بأحسن منه

- الحمد لله، هي مشيئة الله يا حمدي

وتبادل كل من حمدي ومحمد الحديث ليعرف أخبار الآخر.

وفي غرفة ميار في المستشفى

- أشكرك يا علياء على نصيحتي بمواجهة مخاوفي، لقد كنتِ على حق لقد اختلفت حياتي كليةً بعد ذلك، حتى أنني قررت أن أهاتف والدتي وفعلت بالفعل وأخبرتها بزواجي وحملي، فرحت بي وطلبت مني الاتصال بها فقط عندما يرن هاتفي برقمها حتى لا يكون عمي موجودا

- حقا، لقد اعتقدت أنها نست وجودك

- وأنا أيضا ولكن بعد مهاتفتها تأكدت أن عمي هو السبب، أرسلت لها على الهاتف منذ قليل صورة عمّار وبسلمة وردت هي أنها ستحاول أن تأتي، ولكنها تخاف من عمي، إنه نسخة أكثر شدة من والدي كما قالت لي

- هو بالفعل كذلك منذ تبرأ منك ولم يسمع من حمدي طلبه الزواج بك

- الحمد لله، لقد سعدت بالبُعد عن تلك العائلة، وجدت مع حمدي كل ما افتقدته من قبل

مرت الأيام سريعا ورزقت حبيبة بالبلتاجي وحسن بعد ابنها ياسر حيث أنها وضعت توأمًا، ورزقت علياء بميار وعادل بعد ولديها فتحي وعليّ وقد وضعت توأمًا مرة أخرى، بعد مرور ثمانية أعوام على ولادة علياء الأولى توفى والدها إثر إصابته بأزمة قلبية، وتبعته زوجته بعد مرور الأربعين على وفاته وحزنت علياء وحبيبة كثيرا على فقد والديهما إلا أن معاملة نحمدو الجيدة والطيبة لهم بعد وفاة والديهما كانت تعويضا لهما عن فقدهما، على قدر حزن البلتاجي على فراق السمنودي إلا أنه فرح أن عضوية مجلس الشعب والعمودية ستظل في داره، وهنأ ولده الذي رشحه الحزب ليكون نائبا عن الدائرة بدلا من حميه المتوفي.

إلا أن سعادة البلتاجي لم تدم كثيرا فبعد أن توفى صهره أصيب هو الآخر بأزمة قلبية جعلته غير قادر على مباشرة أعماله والعمودية وطلب منه المأمور تعيين خلفا له، فرشح محمد، ولكن كانت المشكلة أن محمدًا عضو في مجلس الشعب ولا يستطيع الجمع بين الصفتين، فاتفق البلتاجي مع المأمور على أن يتولى محمد العمودية ومحمود عضوية مجلس الشعب، وفعلا تنازل محمد عن العضوية ورشح الحزب أخيه لها وفاز بالتزكية

وأصبح محمد هو العمدة، ومحمود عضو مجلس شعب، فرح البلتاجي كثيرا بولديه، ولكن مرضه لم يدم كثيرا فتوفى بعد أن فرح بكلا ولديه العمدة وعضو مجلس الشعب، وفرح بالهيبة الشديدة لهم، توفى البلتاجي بعد مرور أربعة أشهر على إصابته بالأزمة القلبية.

بعد أن أصبح محمد العمدة لم يستطع السفر كثيرًا لرعاية أعمال العائلة فأوكل السفر لأخيه محمود، وكان محمود يأخذ معه حبيبة في سفره، وكانت أثناء السفر تترك أولادها مع أختها لرعايتهم، وإذا سافرت علياء لزيارة صديقتها تترك أولادها مع أختها، إلا أن سفر علياء أصبح أقل منذ تولى زوجها العمودية، فتغيرت حياة حبيبة كثيرا وزاد قربها من زوجها، وأحست بحبه لها، حب خلقته العشرة الطيبة والمحبة.

عندما شعرت نحمدو بقرب الأجل بعد وفاة زوجها، تحدثت مع علياء

- يا بنيتي أردت أن أخبرك أني كنت أعدك الفترة السابقة لتكوني خلفا لي في إدارة الدار، كانت قسوتي وشدتي عليك لكي تتعلمي الشدة في التعامل

- أطال الله عمرك، وأدام عليك نعمة الصحة

- يا بنتي لا أحد مخلد في هذه الدنيا، وكلنا له عمر يعيشه ولا يتخطاه، وقد شعرت بقرب الأجل بعد وفاة الحج، لذا من الضروري أن تعرفي أنك ستكونين سيدة هذه الدار الآمر الناهي بها، وهناك بعض الأمور التي ينبغي أن تتعلميها، أولها لابد أن تكوني شديدة حازمة مع كل من في الدار، كما كنت أنا، وأن يطيعك الصغير والكبير، أن تربي أولادك على أن كلمتك سيف على رقابهم جميعا فيما يتعلق بشئون الدار حتى إن كان ذلك يتعلق بزواجهم، أن تراعي مصلحة زوجك فتقومي بزيارة نساء البلدة كما أفعل وتري طلباتهن جميعها لتساعدي زوجك أن يكسب حب الناس له، فلن تدوم له العمودية دون حب الناس، كما عليك أن تعلمي أختك كيف تزور نساء الدائرة وترى احتياجاتهن حتى يكسب محمود حب الناس له في الدائرة، وتذكري أن النساء لهن دورا بارزا في التأثير على الرجال في كل شيء فإكسابا حبهن لكما، فلا تخرج العمودية وعضوية المجلس عن الدار، وعلى محمد ومحمود زيارة أهالي الدائرة من الرجال والتعرف عليهم وعلى ما يحتاجون إليه.

- أدام الله عمرك يا أماه، سأفعل كل ما تريدين ولكن أستأذنك في اصطحاب أم ياسر معنا لتتعلم منك

وبالفعل بدأت نحمدو في اصطحاب كلا من علياء وحبيبة لتتعرفا على نساء الدائرة عموما، والتعرف على احتياجاتهن جميعا ونقلها لزوجيهما لكي تظل العمودية والعضوية في العائلة.

كانت ميار تزور حبيبة كثيرا بعد أن قررت ترك العمل والتفرغ لرعاية أبنائها، عمّار وبسلمة، لم تقس ميار على بنتها وكذلك لم تفرط في تدليل عمّار، لقد تعلمت درسها مما حدث معها سابقا، قرأت كثيرا في كتب التربية وساعدها حمدي في تعليمها كيفية خلق حياة نفسية سوية للأطفال وساعدها في تربيتهما، تعلمت ميار من الماضي ولكن أخيرا تعلمت أن تطرحه جانبا وتتعلم مما حدث فيه، تتعلم من أخطائه فلا تكررها، تعلمت أن التربية واحدة لا تفرق بين ذكر وأنثى، تعلمت أن كل منهما إنسان له نفس الحقوق والواجبات، وأن كليهما يجب أن يتعلما كيفية تحمل المسئولية.

كبر الأولاد، وأصبح عمّار وبسلمة أصدقاء لأولاد علياء وحبيبة، وربطتهم رابطة الصداقة، تزوج فتحي من بسملة، وتزوج عمّار من ميار الصغيرة، أما عن باقي أبناء علياء وحبيبة فكل منهم اختار شريكة حياته، علمهم محمد ومحمود معنى العشرة الطيبة والمودة والرحمة في التعامل مع الحزم والشدة، وأصبحت علياء

سيدة الدار الأولى وعلمت وأعدت بسملة لتكون سيدة الدار من بعدها.

تمت بحمد الله

شيرين مصطفى

القاهرة

يونيو ٢٠١٨